دور المرجعية الدينية في تأسيس الدولة العراقية ١٩٢١

أ.م.د. عماد عبدالعزيز يوسف
كلية التربية الأساسية - جامعة الموصل
emadabdulazeez38@gmail.com

م.م. أمين غانم الحفو
كلية التربية الأساسية - جامعة الموصل
Amen56@gmail.com

الملخص

الكلمات المفتاحية: العراق، تأسيس، المرجعية، بريطانيا

موضوع الدراسة :

كان للمرجعية الدينية في التأريخ الحديث والمعاصر موقفاً واضحاً ومشرفاً وعظيماً لجميع الاحداث التي تعرضت إليها بلاد المسلمين من قبل الدولة الاستعمارية التي تعرضت إليها بلاد المسلمين من قبل الدول الاستعمارية التي تكالبت عليها لاستعمارها أو من خلال اعوانهم وعملائهم من الحكام لتمزيق وحدتهم وتحريف منهجهم وتلويث عقائدهم ونهب خيراتهم وإفساد رجالهم ونسائهم، فانبرى لمواجهتهم فقهاء المرجعية واعلامها من خلال الفتاوى التي تدعو للتصدي لأفكارهم تارة ولاعتداءاتهم تارة أخرى، وما جرى في العراق منذ ابتداء تأسيس دولته عام ١٩٢١م بعد فتوى ثورة العشرين التي اطلقها المرجع الديني الشيخ محمد تقي الشيرازي ضد الانكليز المحتلين وما ترتبت عليها من آثار.

وكذلك دور بقية المراجع والعلماء والمرجعية كمؤسسة هذه المؤسسة التي كانت لها الدور الكبير في قيام المملكة العراقية خاصة وتاريخ العراق بشكل عام.

أهداف الدراسة :

تهدف الدراسة إلى مناقشة عدة فرضيات تحاول ايجاد الحلول لها وهي هل ان المرجعيات الدينية في العراق حققت اهدافها، وهل كان لها الدور الرئيس في تشكيل الدولة العراقية.

أسئلة الدراسة :

تحاول الدراسة الإجابة على:

١. امكانية اعتماد النتائج المردودة عن المرجعيات الدينية؟

منهجية الدراسة :

تعتمد الدراسة على المنهج التاريخي الوصفي التحليلي موضوع الدراسة وفيه يتم التركيز على المعلومات التاريخية وتحليلها وفق معطيات تاريخية علمية تهدف إلى توضيح أهمية المعلومات التي يمكن الاعتماد عليها في دراسة هذا الموضوع.

حدود الدراسة

الحدود الزمانية: تتعلق بالمدة التاريخية التي حددت الدراسة وهي الربع الأول من القرن العشرين.

الحدود المكانية: فهي الموقع الذي دارت به الدراسة وهي العراق.

الحدود الموضوعية: تتعلق بموضوع الدارسة وهو دور المرجعيات الدينية في تأسيس الدولة العراقية.

مصادر الدراسة :

اعتمدت الدراسة على مجموعة من المصادر المتنوعة العربية والمعربة والدوريات ذات العلاقة بالموضوع.

Abstract

Keywords: Iraq, founding, reference, BritainStudy subject:The religious authority in modern and contemporary history had a clear, honorable and great position for all the events that the Muslim countries were exposed to by the colonial state that the Muslim countries were subjected to by the colonial countries that fought against them to colonize them or through their aides and agents of the rulers to tear their unity, distort their approach, pollute their beliefs and plunder their goods And the corruption of their men and women, so he turned to confronting the jurists of the reference and its media through fatwas that call for confronting their ideas sometimes and their attacks at other times, and what has happened in Iraq since the beginning of the establishment of its state in 1921 AD after the fatwa of the twenty-first revolution launched by the religious authority, Sheikh Muhammad Taqi al-Shirazi against the British occupiers and the consequences of it antiquities.As well as the role of the rest of the references, scholars and reference as the institution of this institution, which had a great role in the establishment of the Iraqi Kingdom in particular and the history of Iraq in general.Objectives of the study:The study aims to discuss several hypotheses trying to find solutions to them, which are whether the religious authorities in Iraq achieved their goals, and whether they had a major role in forming the Iraqi state. Study questions:The study attempts to answer:1- The possibility of adopting the results returned from religious references?Study Methodology:The study depends on the historical, descriptive, and analytical method, the subject of the study, in which the focus is on historical information and its analysis according to historical and scientific data that aims to clarify the importance of the information that can be relied upon in the study of this topic.The limits of the studyTemporal

boundaries: relate to the historical period that the study determined, which is the first quarter of the twentieth century.Spatial boundaries: it is the location in which the study took place, which is Iraq.Objective limits: related to the topic of the study, which is the role of religious authorities in establishing the Iraqi state.Study sources:The study relied on a variety of Arab and Arabized sources and periodicals related to the subject.

دور المرجعية الدينية في التخطيط لقيام ثورة العشرين

أجتمع ممثلو حزب النجف السري والجمعية الوطنية الإسلامية وجمعية حرس الاستقلال في النجف وتدارسوا فكرة القيام بالثورة المسلحة على بريطانيا، فأتفقوا على خطوات تمهيدية تسلم في تعبئة الجماهير، وتؤكد قيادة الميرزا الشيرازي للحركة الوطنية الاستقلالية، وذلك بتوزيع منشور بتوقيع الشيرازي يأمر بالوحدة وجمع الشمل، وجعل يوم الجمعة يوم الشعب تعطل فيه الأعمال وتنصب المنابر في الساحات العامة ليتبارى الخطباء فوقها بما يستلزم الاثارة والتحريض[١]. وبمناسبة زيادة المبعث في ١٦ نيسان ١٩٢٠ حضر مندوبون من المدن العراقية ومناطق أخرى مختلف كبغداد والموصل والمنتفك ومناطق الفرات الأوسط فضلاً عن النجف نفسها، لغرض عقد مؤتمر كبير في دار السيد علوان الياسري في النجف، طرحت في هذا الاجتماع فكرة القيام بالثورة المسلحة ضد الإنكليز[٢].

كانت تلك أول مرة تطرح فيها مثل هذه الفكرة على جمع من رجال الدين ورؤساء العشائر فجرى نقاش حولها فأيدها عدد من الحاضرين وعارضها بعضهم الآخر، كما كان على رأس المعارضين الشيخ خيون العبيد، إذ كان رأيه أن الثورة يصعب القيام بها في الوقت الحاضر لأن العراقيين مختلفون وليس على رأي واحد[٣].

كان كلام الخيون قد أثر في الحاضرين فتم الإتفاق على تأجيل القيام بالثورة، وعلى العمل في التمهيد لها عن طريق التوعية الوطنية والدينية، حتى إذا أصبح

(١) حسين عبدالواحد بدر، موقف المؤسسة الدينية في النجف من شروع الدولة الوطنية في العراق ١٩١٨-١٩٤١، أطروحة دكتوراه غير منشورة، بغداد (كلية الآداب: ٢٠١٠)، ص١١٥.

(٢) عبدالستار شنين الجنابي، تاريخ النجف السياسي ١٩٢١-١٩٤١، (د.م: ٢٠١٠)، ص٦٧.

(٣) علي الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، (بيروت: ٢٠٠٥)، ج٦، ص١٢٥.

الناس مستعدين لما آن الأوان للقيام بها، حاول زعماء العشائر البارزون وقادة الحركة والوطنية في اقناع الشيرازي بمقدرة العشائر على محاربة الإنكليز، وكان يؤيدهم في ذلك ابنه محمد رضا، وقد انتهزوا فرصة زيارة منتصف شعبان في كربلاء لمفاتحة الشيرازي بالأمر، فقال لهم أن الحمل ثقيل واخشى أن لا تكون للعشائر قابلية لمحاربة الجيوش المحتلة، فأكدوا له أن العشائر لها القدرة التامة على القيام بالثورة، فقال ((أخشى أن يختل النظام ويفقد الأمن وتكون البلاد فوضى، وأنتم تعلمون أن حفظ الأمن أهم من الثورة بل أوجب منها)). فأجابوه بأنهم قادرون على حفظ الأمن وأن الثورة لا بد منها وسوف يبذلون كل ما بوسعهم لحفظ النظام وتوفير راحة العموم، ولما وجد الشيرازي انهم قد ضايقوه من كل جانب لم ير بدأ من القول ((إذا كانت هذه نياتكم وهذه تعهداتكم فالله في عونكم))[١].

عدت تلك الجملة ايذاناً بالثورة المسلحة، لكن عدم صراحتها دفعهم للأتفاق على تفعيل الطرق السلمية قبل إعلانها، وقد كانوا محقين فالفتوى التي تعالج شأناً يمس مستقبل شعب، يجب أن تكون صريحة ليس فيها لبس، وبالفعل أنتدبت جمعية حرس الاستقلال وبمباركة علماء بغداد المؤيدين لها في السادس والعشرين من آيار وفداً يضم خمسة عشر شخصية دينية ووجهاء من السنة والشيعة، لعرض مطالب أهل بغداد وابرزها تشكيل حكومة وطنية مستقلة، ولأجل حكم هذه الخطوة شرع النجفيون تنظيم مضبطة وقعها سبعة وثمانون من كبار المرجعيات وفي مقدمتهم شيخ الشريعة والسيد الحسن الأصفهاني، ووجهاء شيوخ عشائر النجف، وأرسلت إلى الحاكم السياسي، ومما جاء فيه ((وقد خولناهم أن يجمدوا بالصوت العالي في طلب استقلال بلادنا العراقية على حدودها الطبيعية استقلالاً

(١) عبدالرزاق الحسني، الثورة العراقية الكبرى، (بيروت: ١٩٧٢)، ص ص١٦٤-١٦٥.

تاماً بتاتاً خالياً من كل مداخلة اجنبية، استقلالاً كاملاً بتأسيس دولة عربية يرأسها ملك مسلم مقيد بمجلس وطني)). ويبدو واضحاً أن المؤسسة الدينية في النجف مساندة تماما لمبدأ الدولة المستقلة وفي هذه الأثناء انتشر في انحاء بغداد ومدن الفرات الأوسط كافة، نداء حرره الميرزا الشيرازي يحث فيه العراقيين على التظاهر ومساندة المطالب المشروعة في استقلال العراق(١). وفي السابع والعشرين من آيار عام ١٩٢٠ استدعى ارنولد ولسون قادة التظاهرات وهددهم بالتنكيل بالمتظاهرين إذا لم يكفوا عن ذلك، كما طالبهم الكف عن تنظيم الاجتماعات، إلا أن القادة أكدوا له أن أهالي بغداد لن يعتقوا المظاهرات والاجتماعات، إلا بعد تأسيس وطنية مستقلة، وبالفعل فقد استمرت التظاهرات الصاخبة في جميع مناطق بغداد، مما اضطر ويسلون إلى الاجتماع بأعضاء الوفد في الثاني من حزيران عام ١٩٢٠، وهددهم بالقضاء على الحركة بالقوة المسلحة، إلا أنه قطع على نفسه وعداً بتلبية المطالب التي تقدم بها الوفد(٢).

أعرب اعضاء الوفد عن عدم إرتياحهم لحديث ولسون الذي كان غامضاً وعبروا بصراحة عن إستيائهم من المماطلة في دعوة المجلس التأسيس، وأصدار القوانين التي تضمن حرية الصحافة والرأي والتنقل، وطالبوا بالإسراع في البت في هذه المواضيع، وقد أخفق الاجتماع، وتم تأجيله لمدة شهرين، ونتيجة لرفض السلطات البريطانية تلبية المطالب التي تقدم بها الوفد، فقد أجتاحت المظاهرات البهو الذي عقد فيه الاجتماع، وبعد انتهاء المفاوضات مباشرة وصف ولسون تلك

(١) حسين عبدالواحد بدر، موقف المؤسسة الدينية في النجف من مشروع الدولة الوطنية في العراق (١٩١٨-١٩٤١)، أطروحة دكتوراه غير منشورة، بغداد كلية الآداب، ٢٠١٠، ص١١٥.

(٢) أمين سعيد، الثورة العربية الكبرى،، (القاهرة: د.ت)، ج٢، ص١٩.

المظاهرات، بأنها كانت في هيأتها أقرب إلى اعلان الحرب[١]. ولهذا أتخذت المواجهات مع السلطات البريطانية في كل من كربلاء والحلة طابعاً تصادميا وبتوجيه من والده قام الشيح محمد رضا الشيرازي بارسال رسائل بأسمه وأخرى مختومة بختم والده إلى مناطق الفرات الأوسط يحرضهم فيعا على الثورة، فقامت السلطات البريطانية في الثاني والعشرين من حزيران عام ١٩٢٠ باعتقاله هو ومساعديه ونفيهم إلى جزيرة هنجام، وادى هذا الأمر إلى دفع اعضاء حزب النجف وشيوخ العشائر والمؤيدين له إلى الاتفاق على عدم جدوى المطالبة السلمية مما يعني أن الثورة باتت وشيكة[٢].

قيام الثورة

كانت بداية انطلاق الثورة، بعد اعتقال السلطات البريطانية للشيخ شعلان ابو الجون قامت عشيرة الظوالم في الثلاثين من حزيران عام ١٩٢٠ لتحرير شيخها شعلان أبو الجون من سجنه في سراي الرميثة، وإقدامهم على مهاجمة البريطانيين في أنحاء الرميثة[٣] ظلت هذه العشائر تقاتل البريطانيين لوحدها مدة اسبوعين، وكان مثار ألم شديد الشيرازي والوطنيين في كربلاء، فقرر الشيرازي أن يرسل وفداً منه إلى ولسون في بغداد لمفاوضاته في أمر ايقاف القتال حقناً للدماء ويعرض عليه شروطاً قبل إنضمام العشائر الأخرى إلى الثورة وكانت هذه الشروط هي: سحب القوات البريطانية من منطقة القتال، واعلان العفو وإعادة المنفيين، رفض

(١) ل.ن كوتلوف، ثورة العشرين الوطنية التحررية في العراق، ترجمة عبدالواحد كرم، (بغداد: ١٩٧٥)، ص١٦٥.

(٢) بدر، المصدر السابق، ص١١٦.

(٣) المصدر نفسه، ص١١٧.

ولسون مقابلة الشيرازي وقال ((إنني لا أصدق برسالة الشيرازي لأنه هو الذي بذر البذرة، وهذا يوم حصادها ولا نوافق على إطلاق سراح نجله المعتقل))[١].

على إثر ذلك أفتى الشيرازي فتواه المشهورة التي أجاز بها الثورة المسلحة ونصها ((مطالبة الحقوق واجبة على العراقيين ويجب عليهم ضمن مطالباتهم رعاية السلم والأمن ويجوز لهم التوصل بالقوة الدفاعية إذا أمتنع عن قبول مطالبهم))، وبهذا أصبح الناس على أثر صدور هذه الفتوى ولأول مرة أمام واجب ديني ووطني لا عذر فيه إذ نال طلب الاستقلال المباركة الدينية[٢]، وأمام هذه التطورات، قامت عشائر الفتلة وآل شبل وآل ابراهيم والغزلات المقيمة في المشخاب نحاط علماً بما جرى في الرميثة والديوانية، حتى تشجعت فطردت حامية أبي صخير، كما أن العشائر المحيطة بقصبة الشامية بين الديوانية وأبي صخير من العوابد والخزاعل والحميدات أرغمت حاكم الشامية العسكري على الفرار إلى الكوفة، وكذلك هرب حاكم النجف العسكري الرائد نوربري، وعلى هذا تجمعت في الكوفة حاميات النجف والشامية وأبي صخير، فأعتصمت في البيوت والخانات والأسواق المطلة على النهر فضربت قبائل بني حسن حصاراً عليها دام نحو أربعة أشهر[٣]. لقد اضطربت القيادة البريطانية العليا مما جرى فقرت تخليص المحاصرين في الكوفة بأي ثمن وفي ٢٣ تموز عام ١٩٢٠ غادرت الحلة قوة كبيرة سميت (رتل مانشستر) وكان هدفها إسترداد الكفل، التي كانت بأيدي الثوار ثم الزحف نحو الكوفة، لكن العشائر

---

(١) حسن داخل عطية، الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية في مدينة كربلاء ١٩٢١-١٩٣٩، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة المستنصرية (كلية التربية الأساسية: ٢٠١٣)، ص ص٤٧-٤٨.

(٢) الجنابي، المصدر السابق، ص٧٧.

(٣) محمد طاهر العمري، تاريخ مقدرات العراق السياسية، (بغداد: ١٩٢٥)، ج٣، ص٩.

الثائرة تصدت لها بين الحلة والكفل وأشتبك الطرفان في معركة خسر الانكليز فيها عشرين قتيلاً وستين جريحاً و(٣١٨) مفقوداً مع كمية هائلة من السلاح والعتاد ومدفع عيار ١٨ رطل[١]. إذ كانت منطقة الفرات مهد الثورة، والممتدة من حدود دير الزور حتى البصرة، وكونها ذات موقع جغرافي مهم، فضلاً عن مكانتها الدينية والقومية، فإن هذا السهل الفسيح يضم مليوني نسمة، أنتشرت فيها الثورة فنجد عدة جبهات كجبهة الرميثة، وجبهة لواء المنتفك. أن هزيمة الانكليز في معارك الفرات الأوسط، وإضطرارهم إلى الانسحاب من الديوانية إلى الحلة، وفي ١٦ آب عام ١٩٢٠ أعلنت كربلاء الجهاد وأخليت القوات البريطانية منها، كما تشكلت إدارة فعلية برئاسة محسن أبو طبيخ واحتل وظيفة المتصرف، كما فرض هادي مكوطر، وأتباعه في أوائل آب سلطتهم في الخضر والغراف والشطرة[٢]، أدت المؤسسة الدينية بقيادة السيد الشيرازي دوراً مهماً في قيادة الثورة، وبعد وفاته في السابع عشر من آب عام ١٩٢٠ تولى شيخ الشريعة الأصفهاني المرجعية العليا، وقد استمر على نهج الشيرازي، إذ ترأس (الهيئة العلمية الدينية العليا)، وكانت تشرف على شؤون الثورة العامة، وكذلك رفض العرض الذي قدمه له ولسون في السابع والعشرين من تشرين الأول عام ١٩٢٠ للتفاوض بشأن إنهاء الثورة واستمر في تأييدها، حتى استسلام النجف في العشرين من تشرين الثاني عام ١٩٢٠. لابد من الإشارة أن المؤسسة الدينية قامت بتوزيع الأموال الشرعية في نصرة الثورة فضلاً

---

(١) عبدالرزاق الحسني، ((كيف قضيت ثورة العشرين على الحاق العراق بالهند))، مجلة افاق عربية، العدد ٦، ١٩٨٩، ص ص٣٠-٣١.

(٢) عمار يوسف عبدالله عويد العكيدي، السياسة البريطانية تجاه عشائر العراق ١٩١٤-١٩٤٥، أطروحة دكتوراه، جامعة الموصل (كلية التربية: ٢٠٠٢)، ص٢٠٩.

عن حل المشاكل بين العشائر، مما يعكس أهميتها في استمرار جذوة الثورة، وعلى الرغم من المحاولات البريطانية الحثيثة لضربها من الداخل[١]. وأن اشتراك ومساهمة العلماء والمجتهدين في الثورة واضحة، فكانت العشائر التي هاجمت الحلة مصحوبة من قبل الجزائري والكاشاني والشهرستاني، وإلى هذا أشار الحاكم السياسي للحلة في ٢٥ تموز عام ١٩٢٠ إلى أن العشائر في لواء الحلة بدأت تتخلص من سيطرة شيوخها، وكانت ذلك ناشئاً من تأثير العلماء. وفي الوقت نفسه، فإن إنتشار دعاة الثورة من العلماء والمجتهدين، قد شجع صغار رؤساء العشائر الناقمين على سياسة الانكليز تجاه عشائرهم لإرغام رؤسائهم على الاشتراك في الثورة ضد الانكليز، كما أن النفوذ والثراء الواسعتين يوفران دعماً قوياً لفتاوى المجتهدين[٢].

نماذج من الشخصيات المرجعية في ثورة العشرين:

الشيخ الشيرازي ودوره القيادي في ثورة العشرين وحتى وفاته:

ان ثورة ١٩٢٠ بدأت في ٣٠ حزيران ١٩٢٠ عندما ألقت السلطات البريطانية القبض على شيخ عشيرة الظوالم في الثلاثين من الشهر ذاته (شعلان أبو الجون) وقامت عشيرته بدورها الهجومي على السراي البريطاني بالقوة المسلحة وقتلت عدداً من الجنود البريطانيين، ثم انتشرت الثورة إلى بقية مناطق الفرات الأوسط ومن ثم إلى أنحاء واسعة في العراق، وقد ورد اسم (شعلان أبو الجون) في المؤتمر الذي عقد في مدينة كربلاء بتاريخ ٤ أيار ١٩٢٠ (١٥ شعبان ١٣٣٨هـ)[٣].

---

(١) بدر، المصدر السابق، ص١١٨.

(٢) العكيدي، المصدر السابق، ص٢٢٢.

(٣) الحسني، الثورة، ص٩٥.

لم يكن يوم الثلاثين من حزيران هو ساعة الصفر التي كان يريدها الشيخ الشيرازي لإعلان الثورة بسبب عدم أخذ الاستعدادات الكافية لها وقد أثبتت الأحداث اللاحقة هذه الحقيقة، حيث جرت المعارك في منطقة السماوة لعدة أيام، كان ذلك يعني قدرة القوات البريطانية على قمع الثورة بسهولة فيما لو ظلت المعارك الطاحنة محصورة في تلك المنطقة فقط، لذلك قر الشيخ الشيرازي التوسط لإيقاف القتال لكي يؤمن للثورة المزيد من التعبئة العسكرية والشعبية وتوحيد العشائر التي كانت على خلاف فيما بينها، فأرسل الشيرازي مبعوثين إلى بغداد هما (هبة الدين الشهرستاني وأحمد الخراساني) لمقابلة (ويلسن)[١]، الذي وافق على اجراء المفاوضات لكسب الوقت وتعزيز القدرات العسكرية البريطانية من جانبه أيضاً[٢].

وضع مبعوثا الشيخ الشيرازي شرطين لإيقاف القتال هما:

١. سحب القوات البريطانية من مناطق القتال.

٢. إعلان العفو العام وإطلاق سراح المنفيين وعودته إلى ديارهم.

كان قبول البريطانيين بهذه الشروط يعني انتصاراً سياسياً كبيراً للشيرازي وبقية الزعماء الوطنيين، تماماً كما حصل قبل عام من قيام الثورة عندما هدد الشيرازي بالذهاب إلى إيران على أثر اعتقال أعضاء من (الجمعية الوطنية الإسلامية) فاضطرت السلطات البريطانية آنذاك إلى اطلاق سراحهم. غير أن البريطانيين لم يقبلوا بهذه الشروط وانتهت المفاوضات بالفشل[٣]، عند ذلك أصدر الشيخ الشيرازي فتواه الشهيرة التي نصت على أن (مطالبة الحقوق واجبة على العراقيين ويحق لهم ضمن مطاليبهم رعاية السلم والأمن،

---

(١) عبدالرزاق الحسني، العراق في دوري الاحتلال والانتداب، (لبنان: ١٩٣٥)، ج١، ص١٠٩.

(٢) كوتلوف، المصدر السابق، ص١٨٦.

(٣) عباس محمد كاظم، ثورة الخامس عشر من شعبان (ثورة العشرين)، (د.م: ١٩٨٤)، ص ص٢٨٥-٢٨٦.

ويجوز لهم التوسل بالقوة الدفاعية إذا امتنع الأنكليز عن قبول مطاليبهم)[١]، لم تكن هذه الفتوى مؤرخة، لكن الراجح أنها صدرت في المدة الواقعة ما بين (٧-١٤) تموز ١٩٢٠، لأن الفتوى صدرت بعد معارك الرميثة التي بدأت في ٣٠ حزيران ١٩٢٠م، واستمرت لعدة أيام وقبل الاجتماع الذي عقد في منطقة الشامية بين زعماء العشائر والقادة البريطانيين في ١٥ تموز من السنة ذاتها، وعلى أي حال فإن هذه الفتوى وضعت حداً نهائياً للحل السلمي بين الشعب العراقي والسلطات البريطانية، وعلى أثر ذلك انتشرت الثورة في أغلب مناطق العراق الأخرى وعلى ثلاث مراحل.

مراحل انتشار الثورة:

المرحلة الأولى: امتدت الثورة من الرميثة إلى مناطق الشامية والحلة والكوفة على أثر فتوى الشيرازي وذلك بعد أثنى عشر يوماً من أبتداء المعارك في الرميثة.

المرحلة الثانية: امتدت الثورة إلى مناطق الديوانية والناصرية بعد الانتصار الكبيرة في معركة (الرارنجية) في ٢٤ تموز ١٩٢٠، كما أخرج الحكام السياسيين البريطانيين بالقوة من مدن كربلاء والنجف وما حولها بعد وصول مبعثين للشيرازي إلى هذه المناطق للتحريض على الثورة ونشر فتواه.

المرحلة الثالثة: انتشرت الثورة في مناطق الفرات الأعلى (الرمادي) ومناطق عشائر الدليم، والمناطق الكردية.

ففي منطقة الشامية كان هناك نزاع عشائري بين عشائر الخزاعل وعشائر بني حسن، فتدخل الشيخ (عبدالواحد الحاج سكر) لفض النزاع بين الطرفين وتم عقد الصلح بينهما[٢].

---

(١) الحسني، الثورة، ص١٠٦.

(٢) عبدالله الفياض، الثورة العراقية الكبرى سنة ١٩٢٠، ط٢ (بغداد: ١٩٧٥)، ص٣٠١.

وبعد صدور فتوى الشيرازي الأخيرة، حاول البريطانيون إقناع زعماء عشائر النجف والشامية بنبذ هذه فكرة الثورة المسلحة، فعقدوا اجتماعاً مع هؤلاء الزعماء في منزل الشيخ (مرزوق العواد) في منطقة الشامية في الخامس عشر من تموز ١٩٢٠م (٢٨ شوال ١٣٣٨هـ) حضره حاكم النجف والشامية الميجر (نوربري)[١]، فعرض عليه زعماء العشائر شروطاً لإيقاف القتال هي:

١. منح الاستقلال التام للبلاد وتشكيل حكومة وطنية مستقلة.
٢. إطلاق المبعدين، وعلى رأسهم نجل الشيخ الشيرازي (محمد رضا).
٣. رفع مراكز المراقبة والتفتيش والثكنات العسكرية البريطانية في منطقة الفرات الأوسط.

لكن البريطانيين رفضوا تلك الشروط وأضطر الكابت (مان)، أحد القادة العسكريين البارزين في منطقة الشامية إلى الانسحاب منها إلى الكوفة[٢]، بعد تهديد أحد شيوخ بني حسن وهو (خادم الغازي) الذي قال: (إننا تعاهدنا وتحالفنا أمام آية الله الشيرازي... إن نبذل كل ما في وسعنا في سبيل قضية بلادنا... إن على الكابتن ما أن يخرج من الشامية من رضاه أو بالقوة...)، وبعث زعماء العشائر في منطقة الشامية رسالة إلى الشيخ الشيرازي تروي له تفاصيل ما حدث وإن الوضع الأمني هو بين الاستسلام لهم أو الحرب ضدهم، فكتب الشيرازي في جوابه لهم (إذا أصر الانجليز على غصبكم حقكم وقابلوا التماسكم بالحرب فيجب عليكم الدفاع بجميع قواكم ويحرم لهم الاستسلام). أضطر العديد من زعماء العشائر على أثر تلك الفتوى إلى أعلان الثورة ضد البريطانيين لأن ضغط الرأي العام كان أقوى

(١) كاظم، المصدر السابق، ص٢٨٩.

(٢) محمد مهدي البصير، تاريخ القضية العراقية، (بغداد: ١٩٢٤)، ص١، ص ص٢١٦-٢١٧.

من أن يقاوم، فزعيم العشيرة يفقد مكانته وسمعته إذا رفض العمل بفتوى المرجع الأعلى، ومن هنا نستطيع القول أنه لولا فتوى الشيخ الشيرازي لم يستطيع زعماء آل فتله المعروفون بعدائهم للبريطانيين الثورة ضدهم، إذا كان بإمكان البريطانيين إثارة العشائر المناوئة لهم وأسرع خادم الغازي مع اتباعه وأستولوا على مخفر (أبو شورة) وتمكنوا من الاستيلاء على أسلحته، وتبعتهم العشائر الأخرى في المنطقة[١].

كانت أهم المعارك التي خاضها الثوار وانتصروا فيها على القوات البريطانية في ٢٥ تموز ١٩٢٠ هي معركة الرارنجية (الرستمية) التي جرت في شمال ناحية الكفل، وفيها تكبد البريطانيين خسائر فادحة بالأرواح والمعدات[٢].

أما في مدينة كربلاء وهي من أهم مراكز الثورة، كونها مقر زعيم الثورة الشيخ الشيرازي فقد وقعت هذه المدينة تحت سيطرة الثوار بعد معركة الرارنجية، حيث ثار الأهالي ضد البريطانيين الذين تأزم موقفهم[٣]، واضطروا إلى الأنسحاب من المدينة التي رفع علم الثوار فيها على دار بلديتها، وقد حاول حاكم المدينة (محمد البوشهري) أن يتحصن في السراي بحماية الشرطة ريثما تأتيه النجدة من بغداد[٤]، غير إن رجال الشرطة انقلبوا عليه فأضطر (البوشهري) ومدير شرطته إلى الفرار إلى المسيب التي كانت مرابطة فيها قوات بريطانية، ومنها توجه إلى بغداد، وعندما سيطر الثوار على مدينة كربلاء اجتمع عدد من الزعماء في منزل الشيخ الشيرازي

---

(١) كاظم، المصدر السابق، ص٢٩١.

(٢) البصير، المصدر السابق، ص٢١٨.

(٣) البرت منتشافيلي، العراق في سنوات الانتداب البريطاني، ترجمة هاشم صالح التكريتي، (بغداد: ١٩٧٨)، ص١٦٧.

(٤) الوردي، المصدر السابق، ج٥، ص ص٢٩٣-٢٩٤.

وتداولوا قضية تنظيم إدارة المدينة وتم الاتفاق على تشكيل ثلاثة مجالس رئيسية لإدارة وتسيير أمور المدينة.

المجالس المشكلة لإدارة أمور كربلاء:

١- **المجلس العلمي**: ويمكن اعتباره المجلس السياسي والإعلامي للثورة، ومن مهماته هي بث الثورة بين طبقات الناس المختلفة في المدن ومناطق العشائر بلزوم الاشتراك في الثورة، وتوسيع نطاق العمل وتوجيه الإرشادات الدينية فيما يخص الثورة، كما يشرف على المجالس الأخرى. وانتخب السيد محمد علي هبة الدين الشهرستاني رئيساً لهذا المجلس[١]، وأما بقية أعضائه فهم: أبو القاسم الكاشاني وأحمد الخراساني وحسين القزويني وعبدالحسن الشيرازي (نجل الشيخ الشيرازي)[٢].

٢- **المجلس المحلي**: ويمكن اعتباره المجلس الوطني للإدارة العامة، ومن أبرز مهمات هذا المجلس هو ترشيح الموظفين وجباية الضرائب والرسوم وتوزيعها للصرف بحسب ما تقتضيه الأمور، والعناية بالصحة العامة وحسم الدعاوى وتأمين الطرق القريبة من كربلاء والقيام بواجب الإدارة، وكان الشيخ محمد حسن أبو المحاسن هو ممثل الشيرازي في هذا المجلس، أما بقية أعضائه فأبرزهم: عبدالوهاب الوهاب وأحمد الوهاب وهادي الحسون وعبد علي الحميري وإبراهيم الشهرستاني وغيرهم[٣].

---

(١) فريق المزهر آل فرعون، الحقائق الناصعة في الثورة العراقية ١٩٢٠ ونتائجها، (بغداد: ١٩٥٢)، ج٢، ص٢٤٧.

(٢) الوردي، المصدر السابق، ج٥، ص٢٩٤.

(٣) آل فرعون، المصدر السابق، ص ص٢٤٧-٢٤٨.

٣- **المجلس الحربي**: وأبرز مهماته هي تنظيم الخطط العسكرية وقيادة الثوار وتنظيمهم وتعيين قادة الحملات في الهجوم والدفاع، أما أعضاءه فأبرزهم: علوان الياسري وعبدالواحد الحاج سكر ومجبل آل فرعون وشعلان الجبر ورابح العطية وغيرهم[١]، كما كان هناك مجلس خاص بجمع الاغاثات لتمويل المعوزين من الثوار، وأعضاءه: عيسى البزاز ومحمد رضا فتح الله وحيدر القصاب والحاج قندي[٢]، وكانت هذه المجالس تعمل جميعها بإشراف الشيخ الشيرازي حتى وفاته، وقام المجلس الملي (الوطني) بتعيين مدير لشرطة الخيالة وهو (سمرمد آل هتيمي) وهو أحد رؤساء عشائر المسعود في كربلاء، وتم تعيين (عبدالرحمن العواد) مدير شرطة المشاة، فضلاً عن تعيين حراس وموظفين في البلدية وكتاب وجباة[٣].

أقتدت النجف بما جرى في كربلاء بتشكيل إدارة محلية[٤]، بمساعدة العلماء والشخصيات البارزة في المدينة ومنهم الشيخ عبدالكريم الجزائري، الشيخ جواد صاحب الجواهر، جعفر أبو التمن، عبدالمحسن شلاش، مهدي الخراساني (نجل الشيخ محمد كاظم الخراساني) وقررت اللجنة تشكيل مجلسين[٥]، مجلس تشريعي

---

(١) مكتب منابع الثقافة الإسلامية، كربلاء المقدسة تفجر ثورة العشرين، الكتاب الخامس، (النجف الأشرف: ١٩٦٨)، ص٦١.

(٢) آل فرعون، المصدر السابق، ص٢٤٨.

(٣) محمد حسن آل طعمة، ((ثوار كربلاء يشكلون حكومة محلية في كربلاء))، جريدة المجتمع، العدد ٢٩-٢١، حزيران ١٩٧١.

(٤) الفياض، المصدر السابق، ص ص٣١١-٣١٢.

(٥) عبدالرزاق عبد الدراجي، جعفر أبو التمن ودوره في الحركة الوطنية في العراق، ط٢ (بغداد: ١٩٨٠)، ص١٢١.

وعدد أعضائه ثمانية ينتخب عن كل محلة في النجف اثنان، ومجلس تنفيذي يكون عدد أعضائه أربعة هم رؤساء المحلات الأربعة في المدينة. وهي طرف المشراق وطرف العمارة وطرف الحويش وطرف البراق[١].

كان للشيرازي دور قيادي كبيرة في الثورة حتى إنه أشرف على الخطط العسكرية وكان يقترح بعضها ففي إحدى المرات أوفد أحد مساعديه إلى الثوار في منطقة (الوند) (وهي قرية صغيرة تقع على طريق كربلاء – بغداد) ليعرض عليهم رغبته بإرسال قوة لقطع المواصلات بين بغداد والحلة[٢]، كما كانت الرسائل التي يبعثها الشيرازي إلى قادة الثوار العسكريين تتضمن الغازاً متفق عليها بين الطرفين مسبقاً خوفاً من وقوعها بأيدي البريطانيين أو عملائهم وبالتالي تصبح حركات الثوار معروفة، وأتضح ذلك من خلال الرسائل التي بعثها الشيرازي بواسطة أحد معتمديه وهو السيد هبة الدين الشهرستاني في ٩ آب [٣]١٩٢٠، كما تابع أخبار الثورة في المناطق الأخرى، فعندما تقهقر الثوار في الحلة أرسل السيد هبة الدين الشهرستاني للوقوف على حقيقة الأمر[٤]، وفي الوقت ذاته أرسل علوان الياسري رسالة إلى الشيخ الشيرازي يشرح فيها الوضع العسكري للثوار في الحلة[٥].

---

(١) ناهدة حسين علي ويسي، تاريخ النجف في العهد العثماني الأخير ١٨٣١-١٩٢٧، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد، كلية التربية (ابن رشد): ١٩٩٩، ص٤٧.

(٢) آل فرعون، المصدر السابق، ص٢٩٥.

(٣) مكتب منابع الثقافة الإسلامية، المصدر السابق، ص٢٩٥.

(٤) الفياض، المصدر السابق، ص٣٢٠.

(٥) آل فرعون، المصدر السابق، ص ص٢٦٩-٢٧٠.

امتدت الثورة إلى مدينة الديوانية في ٣٠ تموز عندما ثارت عشيرة (الأقرع) ضد البريطانيين[١]، وكان من أبرز زعماء هذه العشيرة الشيخ (سعد) والشيخ (مخيف) واعتقل البريطانيون الأخير؛ لصلته الوثيقة بالعاملين في المجال السياسي الوطني في مدينتي كربلاء والنجف[٢]، ثم قاموا بنفيه إلى البصرة ومن هناك تم تسفيره إلى جزيرة هنجام[٣]، ثم ثارت مناطق (عفك) بزعامة الشيخ (صلال الموح)، وهكذا أصبحت كل مناطق الديوانية ممثلة بالعشائر الثائرة التي دفعت القوات البريطانية إلى الانسحاب من تلك المدينة[٤]. كما وصلت فتاوى الشيخ الشيرازي إلى المناطق الغربية من العراق بواسطة مبعوثه السيد (جدوع أبو زيد) الذي سافر إلى الفلوجة في ٢٣ تموز والتقى هناك برئيس عشائر الجنابيين (خضير الحاج عاصي) الذي كانت له اتصالات سابقة مع رجال الثورة في الفرات الأوسط، وأصطحب الشيخ خضير مبعوث الشيرازي إلى بقية عشائر المنطقة ومنها البو نمر وزوبع والدليم، وكان أهم شخصية التقى بها أبو زيد هي الشيخ (ضاري المحمود) رئيس عشيرة زوبع الذي كان له اتصالات كثيرة مع زعماء الفرات الأوسط، ولاسيما عبدالواحد الحاج سكر، وعندما أطلع الشيخ ضاري على صورة فتوى الشيخ الشيرازي ورسالته زاد حماسه للثورة قائلاً: ((يشهد الله تعالى على إنني عربي مسلم وقد عاهدته وأنت من الشاهدين (يقصد أبي زيد) على أن عليّ أن أبذل الغالي والنفيس في سبيل إنقاذ بلدي من الإنكليز وليعلم العلماء والزعماء من أخواني أنني سأقوم بأدوار يسجلها التاريخ بعد أن يسمعونها فترضي الله والناس))[٥].

---

(١) كاظم، المصدر السابق، ص٢٩٩-٣٠٠.

(٢) الفياض، المصدر السابق، ص٣٢٣.

(٣) الحسني، الثورة، ص٢٥٩.

(٤) البصير، المصدر السابق، ص ص٢٢٤-٢٢٦.

(٥) آل فرعون، المصدر السابق، ص ص٣٠٦-٣٠٧.

كما راسل زعماء الثورة في كربلاء وأنتقل بعدها إلى منطقة النعيمية ومنطقة خان العطيشي الواقعة بين كربلاء والمسيب لمقاومة البريطانيين[١].

كما وصل مبعوث الشيرازي (أبو زيد) إلى مناطق جنوب بغداد مثل المحمودية واليوسفية في ٢٨ تموز، كذلك منطقة (عويريج) وكان لأبناء هذه المناطق اتصالات سابقة مع السيد (هبة الدين الشهرستاني) وهو أحد وكلاء الشيخ الشيرازي حيث أرسل الشهرستاني عدة رسائل لعشائر هذه المناطق يحثهم فيها على الوحدة والثورة ضد بريطانيا، وطرد موظفيها وتخريب طرق مواصلاتها التي كانت تستخدمها لنقل الأسلحة والأعتدة خلال الثورة[٢].

ومن الجدير بالذكر أن (المس بيل) اجتمعت بمجموعة من علماء السنة والشيعة من أهل بغداد وطلبت منهم تشكيل وفد منهم للتوجه إلى مدينتي النجف وكربلاء للتفاهم مع رجال الدين في هاتين المدينتين لإيقاف العمليات العسكرية للثوار، وهذا يدل على مدى الضغط الذي عاناه البريطانيون من جراء الثورة، وأجمالاً يمكن القول، كانت لفتوى الشيخ الشيرازي تأثيراً فاعلاً على أغلب المناطق القريبة من بغداد سواء كانت هذه المناطق شمال بغداد أو جنوبها، وقد قال البازركان بصدد ذلك: ((تأثرت العشائر التي تقطن أطراف بغداد بفتوى الإمام الشيرازي فأخت تشن الهجوم تلو الهجوم على ضواحي بغداد، الأمر الذي جعل الانكليز ينشؤون الحصون والمواقع للمحافظة على المدينة، وكنت أشاهد بنفسي قنابل التنوير يطلقها الانكليز ليلاً في أطراف المدينة للكشف عن أماكن الثوار أينما وجدوا))[٣].

(١) الحسني، الثورة، ص١٧١.

(٢) آل فرعون، المصدر السابق، ص٣٠٥-٣٠٩.

(٣) علي البازركان، الوقائع الحقيقية في الثورة العراقية، (بغداد: ١٩٥٤)، ص١٩٨.

كما أندلعت الثورة في مناطق ديالى التي سقطت بأيدي الثوار في ١٢ آب[١]، وأمتد نطاق الثورة إلى مدينة الناصرية والمناطق القريبة منها في ١٥ آب وأضطر الحكام السياسيون البريطانيون إلى الهرب منها[٢]، كما أندلعت الثورة في مناطق كردستان ولاسيما في (خانقين) والمناطق القريبة منها ومناطق أخرى عديدة[٣].

كان للثوار اتصالات مع الخارج على المستوى الاقليمي ولاسيما مع العراقيين الموجودين في سوريا والذين كانوا إلى جانب أشقائهم السوريين وحكومة الملك فيصل بن الحسين في دمشق التي سقطت في ٢٥ تموز[٤] ١٩٢٠.

وقد كتب العراقيون الموجودون في منطقة (دير الزور) السورية إلى قادة الثورة في الفرات الأوسط وبغداد، رسالتين طلبوا فيهما المساعدة المالية منهم كانت الرسالة الأولى معنونة إلى (علي البازركان)، والثانية معنونة إلى (ميرزا كاشان)، كانوا يقصدون الشيخ الشيرازي. حيث وصلت هذه الرسالة إلى كربلاء مع مبعوث أسمه (سملان الجنابي) والذي جاء من دير الزور ووصل إلى كربلاء عن طريق البادية، ذكرت بعض المصادر عن هذه الرسالة أنها كانت مؤرخة في يوم ١٧ آب ١٩٢٠، ويبدو تاريخ وصولها غير دقيق لكونه صادف يوم وفاة الشيرازي إذ لابد أن يكون تاريخ الرسالة قبل ذلك التاريخ بيوم أو بعدة أيام. وعلى أية حال فبعد وصول هذه الرسالة إلى الشيخ الشيرازي أحالها إلى بقية قادة الثورة واللذين اجتمعوا لمناقشة الأمر وأبدى عدد منهم موافقتهم على إرسال الأموال إلى دير

(١) كاظم، المصدر السابق، ص ص٣١٤-٣١٦.

(٢) الحسني، الثورة، ص ص١٨٤-١٨٨.

(٣) كاظم، المصدر السابق، ص ص٣١٧-٣١٨.

(٤) ساطع الحصري، يوم ميسلون صفحة من تاريخ العرب الحديث، (بيروت: ١٩٨٥)، ص٤٥.

الزور ومنهم: جعفر أبو التمن، قاطع العوادي، جدوع أبو زيد، محمد رامز، عارف حكمت[١].

لكن محسن أبو طبيخ رفض هذه الفكرة وأتهم الأهالي دير الزور بموالاتهم للعثمانيين، كذلك أتهموا بالعمل مع الثوار كموظفين وليسوا مقاتلين وبالتالي فإنهم أرادوا بتلك الأموال لأخذها كرواتب لهم، ولذلك قال محسن أبو طبيخ: ((... ولأجل هذا لا يعني أني أقدم شيئاً من مالي لأناس لا أعترف بصدق وطنيتهم في العمل...))[٢].

أما أهم الاتصالات مع الخارج على المستوى الدولي في تلك المرحلة العصيبة من أيام الثورة عندما بعث الشيخ الشيرازي رسالة إلى جمعية (عصبة الأمم) في جنيف بتاريخ ١٢ آب ١٩٢٠م (٢٧ ذي القعدة ١٣٣٨هـ)، وذكر الشيرازي في تلك الرسالة بوعود الحلفاء بمنح العراق الاستقلال في إدارة شؤونه وتدبير مصالحه العامة بنفسه، غير إن المحتلين البريطانيين نكثوا بوعودهم وقابلوا الشعب العراقي بالقتل والتنكيل (عند ذلك قام العراقيون مدافعين عن أنفسهم وشرفهم، بعد أن يئسوا من أصغاء حكومة بريطانيا لهم حتى للتفاهم معهم بصورة سليمة). وأختتم الشيخ الشيرازي رسالته بالقول (وبصفتكم ناصري الضعيف جئنا بهذه النبذة اليسيرة، نعلمكم موقف حكومة بريطانيا بالعراق فنستجير بمن يمثل العدل، فأنقذوا أمة تأبى أن تعيش دون أن تأخذ حقها الصريح المعترف به ودمتهم باحترام)[٣].

(١) الوردي، المصدر السابق، ج٥، ص ص٢٩٥-٢٩٧.

(٢) آل فرعون، المصدر السابق، ص٢٨٥.

(٣) آل فرعون، المصدر السابق، ص ص٣٤٨-٣٥٠.

في غمرة أحداث الثورة توفي الشيخ الشيرازي في السابع عشر من آب ١٩٢٠م (١٣ ذي الحجة ١٣٣٨هـ) ويقال إنه اغتيل بالسم على أيدي عملاء بريطانيين، وأصدر شيخ الشريعة الأصفهاني الذي تولى المرجعية بعد وفاة الشيخ الشيرازي بياناً في ذات اليوم، أي في ١٧ آب، موجهاً إلى الأمة الإسلامية بصورة عامة والشعب العراقي بصورة خاصة، ينعى فيه الشيخ الشيرازي جاء فيه: ((أما بعد فأنا أعزيكم وكافة الموحدين بفقد عميد المسلمين آية الله العظمى الميرزا قدس الله نفسه المقدسة، فقد قضى نحبه والتحق بربه بعد أن أدى حق وظيفته وقام بها حسب طاقته، فلا تكن رحلته فتوراً في عزائمكم وتوانياً في عملكم فالجد الجد حماة الدين وأعضاء المسلمين النشاط النشاط...))[١].

دور الشيخ الأصفهاني في أحداث ثورة العشرين:

في ١٧ آب ١٩٢٠م توفي الشيخ محمد تقي الشيرازي فتولى شيخ الشريعة الأصفهاني المرجعية وأصدر بياناً للشعب العراقي والأمة الإسلامية جاء فيه:

((أما بعد أعزيكم وكافة الموحدين بفقد عميد المسلمين آية الله العظمى الميرزا قدس.. ويضيف: فلا تكن رحلته فتوراً في عزائمكم وتوانياً في عملكم فالجد الجد حماة الدين.. النشاط النشاط...))[٢].

ويبدو إن وقوع الاختيار على شخصية كشيخ الشريعة الأصفهاني متأت من دوره الكبير والواضح في الثورة العراقية الكبرى خلال حياة الشيرازي، إذ كان

---

(١) كامل سلمن الجبوري، النجف الأشرف والثورة العراقية الكبرى ١٩٢٠، (بيروت: ٢٠٠٥)، ص٢٨٥.

(٢) آل فرعون، المصدر السابق، ص ص٣٥٢-٣٥٣.

الركن الثاني والمحرك لأحداث الثورة بمشاركته في صنع القرارات، إذ قام بتعزيز القيادة الدينية في معارضة المشاريع البريطانية ومقاومة الاحتلال وحل بعض المشاكل التي تواجهها حركة المقاومة الإسلامية وذلك قبل اتخاذ موقف حازم وحاسم للبدء بمواجهة مسلحة ضد الاحتلال حتى يتمكن من تحقيق وإنجاح جميع السبل القادرة على تحقيق الاستقلال الكامل للبلاد، وفي الصحن العلوي، ألقى شيخ الشريعة الأصفهاني خطاباً قال فيه: ((إن الشيرازي انتقل إلى رحمة الله، ولكن فتواه بقتال المشركين باقية فجاهدوا واجتهدوا في حفظ وطنكم العزيز وأخذ استقلالكم))[١].

ثم قال أنه لعجزه عن الذهاب إلى ساحة القتال؛ وذلك لمرض الم به في تلك المدة فقد أناب عنه السيد أبو الحسن الأصفهاني ؛ ليوقم مقامه فيها عندها تسلم أبو الحسن الراية ثم غادر النجف قاصداً جبهة الوند وقد ألقى خطبة افتتحها بالكلمة المعروفة؛ لأبي بكر الصديق التي قالها عند وفاة النبي الأعظمﷺ: ((أيها الناس من كان يعبد منكم محمداً، فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت))[٢].

وهذه التفاتة مهمة نحو الوحدة الإسلامية التي كان قد استغلظ عودها إبان الثورة، وبهذه المناسبة كتب شيخ الشريعة الاصفهاني إلى السيد نور السيد عزيز الياسري والسيد علوان الياسري يعزيهما ويشكرهما على تعزيتهما بوفاة الإمام الشيرازي نصه:

---

(١) محمد باقر أحمد البهادلي، الحياة الفكرية في النجف الأشرف، (قم: ٢٠٠٤)، ص٥٨.

(٢) عبدالكريم آل نجف، من أعلام الفكر والقيادة والمرجعية، (النجف الأشرف: ٢٠٠٧)، ج١، ص ص١٨٧-٢٠٧.

((السلام على المجاهدين الكرام السيد نور وعلوان ومن لديهم من المسلمين إما بعد فانا نحمد الله الذي تفرد بالبقاء ونسأله إن يلهمنا وإياكم الصبر على فقد آية الله الميرزا قدس الله نفسه يرزقكم المصابرة على الدفاع الواجب على نفوس المسلمين))[١].

انتهز السيد ارنولد ولسن Arnold Wilson الحاكم المدني العام وفاة الشيرازي وانتقال المرجعية إلى الشيخ الشريعة الاصفهاني فقام بمحاولة لعرض الصلح عليه تحت عنوان رسالة تعزية موجهة من ولسن إلى الشيخ.

((كتاب إي. تي. ولسن: دائرة الحاكم الملكي ببغداد. حجة الإسلام والمسلمين شيخ الشريعة الأصفهاني دام علاه، بعد إهداء السلام والتفقد عن صحة ذاتكم الشريفة نؤمل ان كتابنا الذي أظهرنا فيه احساساتنا الودية وتبريكاتنا الصميمية بتقلدكم هذا المقام..))[٢].

أثارت الرسالة شيخ الشريعة الأصفهاني لما تضمنته من مغالطات، وأنها لم تخل من التهديد بكثرة السلاح والعتاد فضلاً عن الإشارة الى الفارق التكنولوجي بين أسلحة الثوار والأسلحة التي استعملتها القوات البريطانية في حين افترض على ولسن إن يستعمل لهجة أقل حدة تشعر الطرف الآخر بالحرص على أمن البلاد وسلامتها أما بالنسبة إلى عرض الصلح فلا ندري هل كان جاداً أو غير جاد في ذلك[٣]؛ فإذا كان جاداً في عرض الصلح فأنه كان يتوقع امتداد الثورة إلى مناطق

(١) كامل سلمان الجبوري، وثائق الثورة العراقية الكبرى ومقدماتها ونتائجها ١٩١٤-١٩٢٣، (بيروت: ٢٠٠٩)، ج٣، ص٢٦٨.

(٢) الجبوري، النجف، ص ص١٢٧-١٢٩.

(٣) الوردي، المصدر السابق، ج٥، ص٣٥٧.

أخرى ومن المحتمل اشتراك عناصر أخرى الأمر الذي سيكلف الجانب البريطاني خسائر كبيرة أما إذا كان غير جاد؛ فلأنه قد استهدف شق صفوف الثوار، وفعلاً نجح في ذلك فانقسم زعماء الثورة على قسمين: الأول: «يرفض التفاوض»، وقد مثل الاتجاه أكثرية أعضاء الهيئة العلمية وفي مقدمتهم شيخ الشريعة الأصفهاني وكثير من رؤساء العشائر الذين كانوا مبادرين إلى المواجهة المسلحة مع الاحتلال عبر هذا الاتجاه عن موقفه بإصدار بيان أكد فيه: «لا مفاوضات قبل الجلاء»؛ وإذ ما اعوزتهم الأسلحة الحديثة فسيستعينوا بالسلام الأسود لمقاتلة البريطانيين[١].

اما الفريق الثاني «الذي يؤيد التفاوض مع البريطانيين»؛ لأن الموقف العسكري للثوار أصبح ضعيفاً، وقد تزعم الفريق الشيخ عبدالكريم الجزائري والشيخ جواد الجواهري والشيخ عبدالرضا الشيخ راضي ومحسن شلاش[٢]؛ لكن في النهاية تغلب رأي الفريق الأول، يبدو إن السبب يعود في ذلك إلى مساندة المرجعية؛ لهذا الفريق وعلى رأسها المرجع الأعلى شيخ الشريعة الاصفهاني الذي كان موقفه في إكمال المشوار المسلح حتى الموت أو الجلاء. والواضح إن سبب تغير موقف شيخ الشريعة الاصفهاني يعود لعدم ثقته بالبريطانيين؛ الذين نكثوا بعودهم، والموقف المتصلب الذي أبداه الحاكم العام في العراق أرنولد ولسن تجاه الثورة؛ لأنهم توعدوا بالتنكيل إضافة إلى قوة رؤساء العشائر ومساندتهم لهذا الفريق من الأمور التي أدت إلى رجحان كفة الجانب لما شكلته القوة من أثر فعال على سير الثورة إلى

---

(١) عبدالحليم الرهيمي، تاريخ الحركة الإسلامية في العراق الجذور الفكرية الواقع التاريخي ١٩٠٠-١٩٢٤، (بيروت: ١٩٨٥)، ص ص٢٢٨-٢٢٩.

(٢) جعفر عبدالرزاق، الدستور والبرلمان في الفكر السياسي الشيعي ١٩٠٥-١٩٢٠، (بغداد: ٢٠٠٥)، ص ص١٥١-١٥٧.

جانب الثوار أما الباحث يميل إلى الرأي الثاني لأن التفوق التكنولوجي هو العامل الأساس في حسم الثرة إلى الجانب البريطاني، وبهذه المناسبة نشرت قيادة الثورة في النجف كتاباً برحيل الشيرازي وبه ردت أيضاً على كتاب الحاكم الملكي العام إلى شيخ الشريعة الاصفهاني:

((طالعنا في جريدة العراق بعدد (٧٧).. صورة كتاب إلى حجة الإسلام شيخ الشريعة بإمضاء الحاكم الملكي العام في العراق يعرب فيه عن تقديم كتاب قبله ولم يصل حتى الآن الكتابان الأول والثاني ففيما جاء في الكتاب الثاني من عبارات الايهان في جهة قوله ((ان المقام الروحاني سيتوجب التعزية والتسلية لا التبريك والتهنئة في هذه الأيام نظراً إلى المصائب التي انتدبت العراق وسائر الممالك...))[١].

هذا وردت جريدة الفرات النجفية بعدد خاص على كتاب الحاكم العام المرسل إلى شيخ الشريعة الاصفهاني بمناسبة وفاة الشيرازي نصه: ((وقفنا على صورة كتاب الحاكم العام إلى المقام الروحاني المنتشر في جريدة العراق وفي منشورات مستقلة وزعتها الطيارات فشكرنا تودده للمقام العالي...))[٢].

وعلى الرغم من الاختلاف الذي حدث بين الفريقين لكنهم اتفقوا على تنظيم مضبطة يوجهونها إلى دول العالم يشرحون فيها حالهم، ويضعون اللوم في اندلاع الثورة على الضباط البريطانيين ويؤكدون أنهم لا يطلبون غير الاستقلال والحرية. ومنها المضبطة التي تم تنظيمها في ١٥ أيلول ١٩٢٠م وقع عليها ٧٣ منهم. كتب شيخ الشريعة الأصفهاني عليها العبارة الآتية:

---

(١) عبدالحسين الحلي، شيخ الشريعة ودوره في قيادة ثورة العشرين، تحقيق كامل سلمان الجبوري، (النجف الأشرف: ٢٠٠٥)، ص ص٢٧٠-٢٧١.

(٢) الجبوري، وثائق، ج٣، ص٣١٤.

((إلى الحكومة الهولندية المفخمة بتوسط سفارتها في طهران. نحن الأمة العراقية كنا قبل الحرب العامة ننتظر الفرصة لأن ننال حريتنا باستقلالنا التام وحكمنا الذاتي بطريق سلمي...))[١].

ومن ثم اختارت الثورة طريق المقاومة مهما كانت النتائج فكتب شيخ الشريعة الاصفهاني في ٣٠ أيلول ١٩٢٠م رسالة جوابية إلى ولسن استنكر فيها نسبة الخسائر التي حلت بالعراق وذكره بالمواقف السلمية التي اتخذتها القيادة الإسلامية قبل القيام بالثورة وفيما يلي نصها:

((... أرسلتم بواخركم المشحونة بأسباب الدمار وآلات النار، وقدمتم العسكر وكتبتم الكتائب إخضاعاً لتلك الأمة المظلومة وسحقاً لحقوقهم المهضومة. ثم بعد هذا تقول غير متلكئ إن دولتكم اعتمدت على الأركان الثلاثة: العدل والرحمة والتسامح في الدين...))[٢].

ثالثاً: الثورة في مرحلتها النهائية

قام الثوار بتحرير مدينة الرميثة والشامية والكفل وكربلاء والديوانية والمسيب والنجف وعلى أثرها استنفذوا القسم الأعظم من نشاطهم خلال شهري تموز وآب ١٩٢٠م[٣]، أما بالنسبة للقيادة البريطانية فعززت قوتها بتدفق المساعدات والجيوش على العراق فقامت بتعزيز القوة بسرب من الطائرات[٤] والتي قامت

---

(١) الجبوري، النجف، ص٣٠٨.

(٢) الجبوري، وثائق، ج٣، ص٣١١.

(٣) الجبوري، النجف، ص١٣٦.

(٤) محمد ابراهيم محمد، ((الغارات الجوية البريطانية على جنوبي العراق أيام ثورة العشرين))، مجلة التراث النجفي، النجف، العددان (٢٢-٢٣)، حزيران ٢٠٠٩، ص٨٦.

بالقاء مناشير تدعو إلى انهاء القتال، وإلى التسليم، وعلى أثرها كتب رؤساء العشائر في الحلة إلى شيخ الشريعة الأصفهاني بهذا الأمر، وإنهم يفوضونهم في مراجعاتهم مع السلطة البريطانية نصه:

((.. لحضرة شيخ الشريعة دام ظله نعرض وكالتنا لحضرتكم عن المندوبين والمفاوضة المراجعات منشورات السر برسي كوكس مع حكومة المحتلة فحضرتكم وكيل عنا في مقاصدنا الإسلامية.. عشيرة بني منصور: حسين الفرمان، عشيرة البو عبيد: علوان العبود، عشيرة الواوي: فرحان الدبي عشيرة عمرلك: دوهان الحسني وعشيرة الجماعات: حاج عبد الحسن الحصيري... كما أرسل زعماء السماوة بكتاب إلى شيخ الشريعة الأصفهاني يطلبون فيه إمكانية السماح لهم بمفاوضة القيادة البريطانية، وإنهاء الثورة في السماوة فبعث شيخ الشريعة الأصفهاني بجوابه إليهم نصه: ((... فإذا رأيتم الصلاح في إن تراجعوا الحكومة عندكم فيما يحصل به التأمين العام وحفظ النفوس بصورة شريفة فأنتم مختارون في ذلك وفي غيره بما يحفظ نفوسكم وكرامتكم، وظني إن الإسراع في هذا الأمر بيوم قبل آخر هو أصلح))[١].

اما في الناصرية دعا البريطانيون الأهالي إلى المفاوضة من أجل انهاء القتال الدائر بين الطرفين لكن الأهالي أوكلوا أمرهم إلى شيخ الشريعة الأصفهاني، وعلى اثرها بعث محمود الخليلي بكتاب إلى الشيخ بهذا الأمر نصه:

((... وكتبنا جواب المنشور إلى الحكومة بأننا تابعين وممثلين إلى حضرة رئيسنا الروحاني دام ظله حيث يأمرنا من صلح أو حرب فنحن تابعين لحضرتكم وارسلنا الصورة الجواب لكم لفا وارسلنا معتمدنا جناب شيخ عبدالمهدي مطر... الاحقر محمود))[٢].

---

(١) الجبوري، وثائق، ج٣، ص٣٦٤-٣٧٤.

(٢) الحلي، المصدر السابق، ص٢٥٥.

وكتب الشيخ عبداحسين مطر إلى الحاكم السياسي في المنتفك جوابه على المنشور البريطاني يخبرهم فيه انه لا تفاوض معهم، وإنما مع شيخ الشريعة الأصفهاني نصه:

((لحضرة فخامة حاكم المنتفك دام إنصافه... حيث إن الجمهور هنا بالغراف قليل الثقة فلا يحصل التفاهم التام والثقة التامة إلا بواسطة شيخ الشريعة الاصبهاني وهو في النجف الأشرف.. فراجعوه في المفاوضة فان رأينا وغرضنا من رأيه وغرضه الذي اليه الرأي العام فالترك عن الحرب لا يكون الا بأمر شيخ الشريعة فهو الذي يفاوضكم في شؤون الاستقلال...))، هذا وبعث زعماء جبهة المنتفك إلى شيخ الشريعة الأصفهاني بكتاب يستفسرون منه عن اخبار الثورة في النجف؛ لأنه وصلتهم اخبار بان الثورة في النجف انتهت، نصه:

((... لكن يا مولانا بلغتنا اخبار سيئة من العدو شوشت خواطرنا وكدرت جفانا، حتى انهم شيعو بطرفنا ان الحاكم العام تراجع مع حضرتكم في اطفاء ثورة الإسلام وان الحكومة دخلت بلادكم المقدسة...))[١].

دخلت القوات البريطانية على اثر القصف الجوي الذي استخدمته للقضاء على الثورة في منطقة الفرات الأوسط، فعهدت بهذه المهمة الى اللواء الـ(٥٣) و(٥٥) فتحرك الالاي الـ(٥٣) على طويريج في يوم الثلاثاء ١٢ تشرين الأول ١٩٢٠م[٢] على اثر احتلال الجيش البريطاني لطويريج استسلمت كربلاء، وأعقبتها المسيب في ١٥ تشرين الثاني ١٩٢٠م بدأ الجيش البريطاني بالزحف على مدينة الكوفة، وعلى أثرها رأى المجلس العلمي الأعلى في النجف بعد ان اصبحت المدينة هدفا اللواء

(١) الجبوري، وثائق، ج٣، ص ص٣٨٥-٣٨٨.

(٢) عبدالرزاق الحسني، العراق في دوري الاحتلال والانتداب، (صيدا: ١٩٣٥)، ص١، ص١٥٨.

الـ(٥٥)، بوجوب تسليم الأسى[١] فجرى تسليمهم في الساعة العاشرة من صباح ١٦ تشرين الثاني ١٩٢٠م، وتم تسليم كل من السيد محمد رضا الصافي والحاج محسن شلاش والشيخ حسن نجل شيخ الشريعة الاصفهاني والشيخ جواد صاحب الجواهر والسيد عزيز الله[٢] ألقت الحكومة بعدها القبض على الزعماء وسجنوا في الكوفة، ولم يفرج عنهم إلا بعد اعلان العفو العام[٣]، وعلى اثر تسليم الأسرى انتهت الثورة في النجف، وفرضت على النجف كمية كبيرة من السلاح والعتاد كغرامة حربية حيث سلمت المدينة (١٢٧٦) بندقية حديثة الصنع و(١٢٤٩) بندقية صالحة للاستعمال مع ثمانية مدافع لويس ومدفعين من طراز (هوشكس (١٨) الف طلقة وفي ٢٧ تشرين الثاني ١٩٢٠م زحف الالاي الـ(٥٥) على مدينة النجف تم خلاله تسليم المدينة[٤].

السيد محمد الصدر ودوره في احداث العراق:

دوره في تأسيس حزب حرس الاستقلال:

عقد في شباط ١٩١٩، اجتماعاً في أحد جوامع بغداد لانتخاب ممثلين عن الشعب للسفر إلى سوريا أو أوربا لاطلاع ممثلي الدول على الحالة السياسية في العراق. كان رجال الدعوة كلاً من علي البازركان ومحمود السنوي ورشيد الشبلاوي ومحمود

(١) ناجي وداعه، لمحات من تاريخ النجف، (النجف الأشرف: ١٩٧٣)، ج١، ص٤٨.

(٢) الوردي، المصدر السابق، ج٥، ص ص١٤٨-١٥٠.

(٣) الجبوري، النجف، ص١٣٨.

(٤) الحسني، العراق، ص١٥٨.

اليعقوبي[١]. إلا أن بعضهم أفشى السر إلى أحد الجواسيس فما كاد أن يصلوا إلى الجامع حتى أعدت السلطة لهم مجموعة من الجند قبضت عليهم باستثناء علي البازركان ونفتهم إلى الهند[٢] وكان لهذه البادرة الفاشلة أثر كبير في حالة اليأس التي عمت الشباب فوجدت جماعة منهم أنه قد حان الوقت لتأليف حزب سياسي يأخذ على عاتقه انقاذ البلاد من الاحتلال البريطاني بشرط أن يكون منبثق من داخل العراق. فتألف حزب (حرس الاستقلال) في بغداد في نهاية شباط عام[٣]١٩١٩. بمبادرة فئة من المثقفين القوميين[٤] أبرزهم السيد محمد الصدر ومحمد جعفر أبو التمن الذي كان يتمتع بمركز خاص في الحياة الاجتماعية وفي السوق التجارية. وعلى البازركان وجلال بابان ومحي الدين السهروردي وناجي شوكت وعدد آخر من المثقفين. وجرى انتخاب الهيئة الإدارية وجاءت كالآتي: السيد محمد الصدر ونناجي شوكت وعلي البازركان وجلال بابان ومحي الدين السهروردي وعارف حكمت ومحمد جعفر أبو التمن[٥]. وكان الحزب يعقد جلساته برئاسة محمد الصدر في الكاظمية، ومن أهداف الحزب «استقال العراق الكامل وإنشاء

---

(١) البصير، المصدر السابق، ص١٣٦.

(٢) انور علي الحبوبي، دور المثقفين في ثورة العشرين، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الآداب، (١٩٨٩)، ص٦٠.

(٣) عادل تقي البلداوي، التكوين الاجتماعي للأحزاب والجمعيات السياسية في العراق ١٩٠٨-١٩٥٨، (بغداد: ٢٠٠٣)، ص١٥-١٨.

(٤) حنا بطاطو، العراق الطبقات الاجتماعية والحركات الثورية في العهد العثماني والحركات الثورية في العهد العثماني من قيام الجمهورية الكتاب الأول، تعريب عفيف الرزاز، ط٢، (بيروت: ١٩٩٥)، ص١٨٥.

(٥) الحسني، الثورة، ص٥١.

حكم ملكي دستوري على رأسه أحد أنجال الملك حسين، وتوحيد كافة العراقيين بغض النظر عن طوائفهم ومللهم.. والرغبة في الوحدة الوطنية وأن الحزب سوف يبذل قصارى جهده لإدخال العراق ضم الوحدة العربية»[١] وبعد ان تمركزت تنظيماته في بغداد أخذ يعمل بنشاط ليصبح مركزاً للحركة القومية والقوى المحركة في مواجهة الاحتلال. وسرعان ما تشكلت فروع له في الموصل ودلتاوه وكربلاء والنجف والمنتفك والكاظمية والحلة والشامية. غير ان نشاط الحزب تمركز في بغداد والفرات الأوسط[٢]. ويرجع ذلك بصورة عامة الى تمركز الطبقة المثقفة في بغداد.

دوره في ثورة العشرين:

نما الوعي السياسي والقومي بدرجة سريعة خلال العقد الثاني من القرن العشرين بفعل عوامل داخلية وخارجية. ولم يكن المثقفون العراقيون بعيدين عن أفكار المصلحين الإسلاميين والقوميين العرب في سوريا ومصر. وكان الدور المهم الذي قام به المتنورون من رجال الدين يؤكد على القومية العربية والإسلام والنزعة الدستورية ومعاداة الاستعمار اجتمعت لتكون حجر الزاوية في الحركة الوطنية العراقية، والإسهام الفعال للعلماء وفتواهم السياسية الذي خلق جواً جديداً تماماً في البلاد، وأن المناظرات المفتوحة والمناقشات الصريحة في الجوامع والمدارس في بغداد والكاظمية والنجف وكربلاء وغيرها من المدن العراقية شمالاً وجنوباً خلقت وعياً عاماً بين مختلف فئات الشعب. يقول ارنولد ولسن (وكيل الحاكم المدني العام في بغداد): «ان طبقة رجال الدين كانت تتنافس مع الزعماء الوطنيين في مناشدة

(١) البصير، المصدر السابق، ص ص١٣٧-١٣٨.

(٢) العمري، المصدر السابق، ج٣، ص٩٠.

الجماهير على أسس دينية ووطنية وحثها على استئصال الاحتلال العسكري»[١] وكان لرجال الدين المتنورين دوراً بارزاً في تحريك ثورة عام ١٩٢٠، لما لهم من نفوذ معنوي في نفوس أبناء البلاد وفي التنظيمات السياسية[٢] ومنهم السيد محمد الصدر الذي كان له دور في تكتيل القوى وتنظيم الاجتماعات تحت ستار الدين أو الشعائر الدينية. فقد كان يأتي من الكاظمية متوجهاً الى دار يوسف السويدي ومعه عدد كبير من المواكبين وفي أيديهم الشموع وهم يصدحون بالكلمة (لا إله إلا الله) حتى يكتمل الجمع وتلقى الخطب وتتخذ القرارات. وحين تسأل السلطة عن مغزى الاجتماع يقال لها احتفال ديني ويجري حسب التقاليد المألوفة[٣].

وتقام في شهر رمضان الاحتفالات الدينية ليلاً، لذا وجد رجال الدين والمثقفون فرصتهم للتحريض ضد الاحتلال البريطاني عن طريق تعبئة الجماهير وصولاً إلى الاستقلال التام[٤].

فأقيمت في جامع الميدان في بغداد أول حفلة رمضانية في العشرين من نيسان عام ١٩٢٠، وطبعت لها بطاقات الدعوة للحضور من قبل الطبقة المثقفة المنتمية إلى حزب الاستقلال. وقد اجتمع في الجامع نحو عشرة الاف نسمة والقيت فيه الخطب وانشدت القصائد، وفي الثاني والعشرين من نيسان عام ١٩٢٠، اقيم في جامع الحيدر خانة احتفال كبير جاهر فيه الخطباء والشعراء بمعاداة الانكليز.

---

(١) أرنولد ولسن، الثورة العراقية، ترجمة جعفر الخياط، (بغداد: ١٩٧١)، ص١٢٧.

(٢) الحبوبي، المصدر السابق، ص ص١٣١-١٣٢.

(٣) مير بصري، اعلام السياسة في العراق الحديث، (دار الحكمة: ٢٠٠٤)، ج١، ص ص١٢٩-١٣٢.

(٤) الوردي، المصدر السابق، ج٥، ص٧٥.

وكان لقصيدة الشاعر عيسى الريزلي الأعظمي وقع كبير إذ أثار حفيظة الاكليز فأوعزوا بالقبض عليه واعتقاله، وعندما بلغ حزب (حرس الاستقلال) نبأ القبض على الشاعر وجه الحزب النداء إلى الأهالي في جامع الحيدر خانة، فأستجاب الناس للنداء وأزدحموا في الجامع وانقطع الطريق على المارة وألقى أحد أعضاء حزب حرس الاستقلال خطبة حماسية دعا الناس فيها إلى الوقوف ضد الحكومة واطلاق سراح الشاعر بالقوة[١].

قوبل اعلان بريطانيا انتدابها على العراق بالرفض والمطالبة بالاستقلال التام والتعاون التام بين الطوائف الإسلامية وانتفاضة العشائر في مختلف انحاء العراق[٢]، وكان موقف العراقيين بشكل عام ضد الانتداب. ففي عام ١٩٢٠، قدم المندوبون الخمسة عشر المنتخبون في جامع الحيدر خانة طلباً الى وكيل الحاكم المدني العام ارنولد ولسن يطلبون مقابلته، فأجابهم انه يرحب باستقبالهم في مقره الرسمي في الثاني من حزيران عام ١٩٢٠ ولكنه في الوقت نفسه اعد قائمة باسماء عشرين وجيها، ممن كان يظنهم يؤيدون وجهة نظره لكي يحضروا الاجتماع مع المندوبين، وحين علم المندوبون باختيار هؤلاء الوجهاء التقوا بهم قبل ان يجتمعوا جميعاً عند ارنولد ولسن، وحصل الاتفاق بينهم على ان يكونوا جبهة واحدة يطالبون الحكومة باستقلال البلاد استقلالاً تاماً[٣]، وحددوا مطاليبهم بالإسراع في تأليف مؤتمر يمثل الأمة العراقية ليقرر شكل ادارتها في الداخل ونوع علاقتها بالخارج، ومنح الحرية للمطبوعات ليمكن الشعب الافصاح عن رغبته وافكاره،

(١) كاظم الدجيلي، أحداث ثورة العشرين، (بغداد: ١٩٧٣)، ص ص٢١-٢٢.

(٢) ولسن، المصدر السابق، ص ص٥٥-٦١.

(٣) مس بيل، العراق في رسائل مس بل، ترجمة جعفر خياط، (بغداد: ١٩٧٧)، ص١٣٧.

ورفع الحواجز الموضوعة على البريد والبرق بين انحاء البلاد وبينه وبين البلاد المجاورة له ليتمكن الناس من الاطلاع على سير السياسة الراهنة في العالم[١].

وفي اليوم المقرر للاجتماع تمكن حزب (حرس الاستقلال) من تهيأت الجماهير في بغداد والكاظمية فأقفلت المخازن والحوانيت، ووقف الجمهور صفوفاً امام وكيل الحاكم المدني العام هاتفين بالحرية. افتتح ارنولد ولسن الاجتماع وخاطب الحاضرين واهم ما يلاحظ على كلمته التهديد والوعيد، إذ عزا اسباب تأخير تأسيس الحكومة الوطنية لعدم استتباب الأمن[٢]. فكان رد المندوبين المطالبة بالإسراع بتأسيس الحكومة الوطنية واعلان الدستور. وقام السيد محمد الصدر فقال «ان الحركة في البلاد هي حركة سلمية لا يقصد منها اثارة القلاقل. وجل مطاليبنا تأليف حكومة وطنية تؤلف على حسب تصريحات الحلفاء وفي مقدمتهم بريطانيا وفرنسا في تصريحيهما اللذين اذيعا في الثامن من تشرين الثاني ١٩١٨، وعملا بقرارات سان ريمو...» وقال أيضاً: « ان ما قلته وافق عليه الاعضاء وهو مكتوب» فقام يوسف السويدي وسلم ارنولد ولسن نص القرار»[٣].

إزاء المطالبة بالدستور وتأليف مؤتمر عام منتخب من اهالي العراق، اعلنت الحكومة البريطانية بياناً في السابع عشر من حزيران عام ١٩٢٠، جاء فيه موافقتها على تأليف المؤتمر المذكور، من قانون الانتخابات ينظم الأمور المستقبلية وبذلك فوضت حكومة بريطانيا وكيل الحاكم المدني العام ان يدعو الاشراف من كافة

---

(١) آل فرعون، المصدر السابق، ص ص١٢٧-١٢٨.

(٢) ولسن، المصدر السابق، ص ص٦٢-٦٤.

(٣) الحسني، الثورة، ص ص٦٣-٦٦.

النواحي والأمكنة للاشتراك[١]. ومحاولة لتهدئة الحالة، جاء في البيان، ان السير برسي كوكس: سيعود في الخريف المقبل لينظم تشكيل مجلس شورى تحت رئاسة عربي وتأسيس حكومة وطنية". وقد شعر العراقيون ان بريطانيا تريد المناورة لا غير فرفضوا الانضمام إليه وبذلك عجلوا بقيام الثورة في الثلاثين من حزيران عام ١٩٢٠، إذ وجه السيد محمد الصدر كتاباً إلى وكيل الحاكم المدني العام دعا فيه إلى تأليف المؤتمر العام بدون تأخير[٢].

تعد ثورة العشرين أولى الثورات الوطنية الكبرى التي شهدها العراق في تاريخه الحديث، إذ اصطدم الشعب العراقي في هذه الثورة وبقوة السلاح مع قوات الاحتلال البريطاني والحق بها هزائم منكرة، وأرغم الانكليز على الاعتراف بحقه في التحرير والاستقلال وتقرير المصير. لقد انطلق شرارة الكفاح المسلح في الثلاثين من حزيران عام ١٩٢٠، حينما اعتقل رئيس قبيلة الظالم الشيخ شعلان ابو الجون في الرميثة، فهاجم رجال قبيلته سراي الحكومة وحرروه بعد ان قتلوا بعض البريطانيين. فكانت تلك الاطلاقات ايذاناً باعلان الثورة التي احتد لهيبها سريعاً لتشمل انحاء مختلفة من البلاد. اشترك السيد محمد الصدر في ثورة العشرين وكان له دور كبير في تنسيق جهود الثوار، ولما اشتد غضب السلطات البريطانية قررت القبض عليه ومهاجمة داره في الكاظمية، ولكنه استطاع الهرب والاختفاء، ثم ذهب مع يوسف السويدي إلى عشيرة المشاهدة قرب الكاظمية فأوهما الشيخ

---

(١) مجيد خدوري، نظام الحكم في العراق، ترجمة فيصل نجم الدين اطرقجي، (بغداد: ١٩٤٦)، ص٨.

(٢) محمد مظفر الادهمي، المجلس التأسيسي العراقي دراسة تاريخية سياسية، (بغداد: ١٩٧٦)، ص٩٩.

حمد الظاهر مدة. ولما علمت السلطات بوجودهما هددت الشيخ وطالبته بتسليم الفارين، فذهب السيد محمد الصدر إلى ديالى والسويدي إلى كربلاء[١].

وما أن استقر السيد محمد الصدر في ديالى حتى شرع بتنظيم خارطة الحركات الحربية في ضوء الامكانات التي كانت متوفرة لديه واناط مهمة الدفاع والهجوم عن قطاعات جبهته الى رجال يعتمد على خبرتهم بفنون القتال على ان يرجعوا إليه في مسائل الدفاع والهجوم. ونتيجة لوجود قوات انكليزية في ايران قد ترسلها بريطانيا إلى العراق هاجم الثوار بقيادة السيد محمد الصدر السكة الحديدية التي هي الواسطة الوحيدة تقريباً لنقل تلك القوات في مهاجمتها عرقلة تلك الحركة. وبعد تخريب السكة الحديدة وتركها في وضع لا يصلح للاستعمال أرسل السيد محمد الصدر مجموعة من الرجال ليتعاونوا مع ثوار منطقة شهربان في السيطرة على مخفر البلدة بعد ان تحصن فيه معاون الحاكم السياسي الكابت (رايتلي) ورفض ان يستسلم، وتمكن الثوار من اقتحام المخفر وقتل الكابتن (رايتلي) وجماعة من أعوانه بعد قتال أستمر ثلاثة أيام[٢] استخدم الانكليز في مقاومة الثوار جماعة من الاشوريين الذين أسسوا لهم معقلاً في بعقوبة، فصدرت الأوامر من القيادة إلى الثوار بمحاصرة المعقل. وقد أسفر إطلاق النار بين الثوار والأشوريين عن خسارة لا تقل عن ٤٠ قتيلاً في مدة ثلاثة أيام. وكانت الحكومة البريطانية ترى لهذا المعقل قيمة عسكرية ولذلك أرسلت إليه قطار مشحوناً بالأسلحة والمؤن فسارع الثوار بقيادة السيد محمد الصدر بنسف القطار على بعد أربعة أميال من بعقوبة. واستطاع

---

(١) بصري، المصدر السابق، ص٢٣٨.

(٢) عباس علي، زعيم الثورة العراقية، (بغداد: ١٩٥٠)، ص ص٨٨-٩٨.

الكولونيل (هاون) ان ينقل محتويات القطار المنسوف الى معقله وبذلك حال بين الثوار وبين الماد المرسلة، الأمر الذي أغرى الأشوريين للدفاع عن المعقل، حتى أصبحت خسائر الثوار من تلك المنطقة لا تقل عن خسائر القوات الانكليزية[١].

ولم يغفل السيد محمد الصدر عن نشر الثورة في المناطق التي تقع شمالي ديالى وذلك طبقاً لخطته التي انتهجها في التخفيف عن مجرى الثورة في مناطق الفرات الأوسط لاسيما بعد وصول القوات الهندية إلى العراق. ولم تمض مدة على مساعيه هذه حتى امتدت الثورة إلى اربيل وكركوك وقامت هذه المناطق بتعبير عن مقاصدها في التحرر والاستقلال[٢].

وبعد وصول القوات الهندية وتحسن وضع القوات البريطانية في جبهات القتال ونجاح حكام المدن السياسيين الانكليز في اعمال التحريض والاغراء، تحركت القوات البريطانية على بعقوبة وتمكنت من احتلالها، وصدر بلاغ يعلن نبأ استسلام ديالى. وعزمت الحكومة البريطانية على محاصرة السيد محمد الصدر وإلقاء القبض عليه، فجهزت حملات عديدة لمطاردة أتباعه.

وكانت دعوتها لقواتها في إيران بالزحف إلى العراق، ووصول الامدادات من بغداد وكركوك ما هي إلا وسائل أرادت منها محاصرة المنطقة بحيث تستطيع قواتها القيام بحركة التفاف توصلها إلى مقر السيد محمد الصدر. فتمكنت القوات البريطانية من احتلال دلتاوة واستعملت من الأساليب الوحشية اضعاف ما استعملته في بعقوبة. وفي أثناء هذه الأحداث حاول شيوخ القبائل اقناع السيد

---

(١) البصير، المصدر السابق، ص٦٨.

(٢) ثامر مكي علي، ((السيد محمد الصدر دراسة في دوره السياسي والإداري في العراق (١٨٨٣-١٩٢٢))، مجلة ميسان للدراسات الأكاديمية، مج١١، العدد٢٠، (حزيران: ٢٠١٢)، ص٣٤.

محمد الصدر بالهرب بعد ان اقتربت منه القوات البريطانية الوفيرة العدد، وكان اقناعه بهذه المسألة أمراً يخشون مفاتحته فيه لعلمهم بقوة جنانه وعدم التفاته إلى القوة مهما تعاظمت قيمتها إلا أنهم تعاضدا على مكالمته في الموضوع والاصرار عليه بوجوب مبارحة مقره فعبر السيد محمد الصدر دجلة سباحة إلى ناحية بلد حيث تقيم جماعة حاتم الحداد شيخ بني تميم، ثم توجه إلى كربلاء ومنها انتقل إلى سوريا في تشرين الثاني عام [١] ١٩٢٠.

كتب الدكتور علي الوريد، قائلاً: «أن السيد محمد الصدر أبلى حسناً في ثورة ديالى عام ١٩٢٠، فلم يستقر في مكان واحد، بل كان يتنقل من مكان إلى آخر على بغل ضخم الجثة حصل عليه من غنائم الانكليز. وكان يحسن الرمي ويشترك في المعارك ويظهر بسالة شديدة. ولم يقتصر جهاده على منطقة ديالى وحدها بل مضى إلى العشائر النازلة قريباً من سامراء فوحد كلمتها وحملها على مهاجمة الانكليز. وقد هاجمت القوات البريطانية دلتاوة وأستعادتها، ففر منها الصدر وعبر دجلة سباحة بالقرب من بلد والتجأ إلى الشيخ حاتم الهذال شيخ عشيرة بني تميم في تلك الناحية، ثم مضى إلى اليوسفية وتوجه منها إلى كربلاء»[٢].

أصبح مركز ثقل القضية العراقية في دمشق بإنتقال السيد محمد الصدر إليها حيث أصبحت محط أنظار العراقيين وموئل آمالهم. وكانت الثورة السورية عام ١٩٢٠، قد انتهت بالاحتلال الفرنسي فقامت القوات الفرنسية بمطاردة الثوار واعتقالهم، لذلك سعي السيد محمد الصدر في إقناع السلطة الفرنسية بضرورة إطلاق سراح المعتقلين وتخفيف الضغط على المنفيين. واستطاع سماحته بنفوذه

(١) علي، المصدر السابق، ص ص٩٥-٩٧.

(٢) الوردي، المصدر السابق، ص٩٢.

الشخصي التأثير على الجنرال (غورو) الذي أطلق ملبياً دعوة السيد محمد الصدر سراح قادة الثورة السورية ورفع المنع عن المنفيين في حالة رغبة هؤلاء بالعودة إلى وطنهم[١].

انتقل السيد محمد الصدر إلى القاهرة فالحجاز، وعاد إلى العراق بصحبة الأمير فيصل بعد إعلان العفو العام في حزيران عام ١٩٢١[٢].

وكتب مس بل السكرتيرة الشرقية لدار الاعتماد البريطاني، قائلة: «يعد السيد محمد الصدر الشخصية الأولى في الاضطرابات واعتقد انه رجل بارع، كما انه معكر صفو السلم ورئيس المتمردين. وبعد اجهاض ثورة العشرين ذهب إلى سوريا ومنها إلى القاهرة ثم إلى الحجاز، وعاد إلى العراق بصحبة الأمير فيصل بعد اعلان العفو العام في حزيران عام ١٩٢١»[٣].

ولما اشتدت الظروف السياسية في بغداد عام ١٩٢٢، دعي إلى الخروج من العراق فقصد إيران ومكث فيها سنة وستة أشهر، بعدها عام إلى بغداد[٤].

أجرى بعض قادة الحركة الوطنية في العراق، ومنهم عدداً من زعماء ثورة العشرين من بينهم السيد محمد الصدر ومهدي الخالصي. اتصالات مباشرة مع السلطة الجديدة ويذكر الدكتور كمال مظهر أحمد: «أن المذكرة التي بعثتها لجنة الدفاع الوطني في تشرين الأول عام ١٩٢٢، إلى وزير الخارجية السوفيتي لرفعها إلى مؤتمر لوزان احتجاجاً على عقد العراق معاهدة مع بريطانيا عام ١٩٢٢، كانت بتوقيع السيد محمد الصدر ومهدي الخالصي وآخرون»[٥].

---

(١) علي، المصدر السابق، ص ص١٢٤-١٢٦.

(٢) بصري، المصدر السابق، ج٢، ص٢٣٨.

(٣) بس بل، بالعراق، المصدر السابق، ص١٤٥.

(٤) بصري، المصدر السابق، ج١، ص١٣٠.

(٥) كمال مظهر أحمد، ثورة العشرين في الاستشراق السوفيتي، (بغداد: ١٩٧٧)، ص٧٢.

موقف المرجعية الدينية من تشكيل الحكومة العراقية المؤقتة.

إهتمت بريطانيا بالعراق اهتماماً كبيراً منذ بداية نشاطها في الخليج العربي ووضعت خطط مختلفة للسيطرة عليه قبيل قيام الحرب العالمية الأولى، وتحقق لها ذلك اثناء الحرب، إلا أن سياستها المتعسفة وحكمها المباشر له أدى إلى قيام انتفاضات عدة ضدهم كان من بينها انتفاضة النجف الأشرف عام ١٩١٨، وثورة العشرين التحررية[١]، التي اجبرت بريطانيا على تغير سياستها في العراق من الحكم غير المباشر. أدرك البريطانيون بعد انتهاء ثورة العشرين وجوب ايجاد تدابير جديدة تحكم العلاقة بينهم وبين العراق بغية استرضاء العراقيين الطامحين للأستقلال الناهض، فضلاً عن إعطاء شرعية لبريطانيا في حكمها ووجودها داخل العراق بدلاً من نظام الأنتداب والسيادة المباشرة التي كانت تثير العراقيين كثيراً، ودفعتهم عليها، الأمر الذي كلفهم خسائر مادية ومعنوية غير قليلة[٢].

برهنة ثورة العشرين أن العراقيين حينما يواجهوا تحدياً أجنبياً فإنهم يتوحدون ضده بقوة فأدركت بريطانيا ضرورة تفتيت الوحدة الوطنية وفك عرى التفاف العراقيين حول مرجعيتهم الدينية في النجف الأشرف التي اثبتت ابان ثورة العشرين قدرتها على التأثير في الشارع العراقي وجعله يثور على السلطة البريطانية، رغم التفاوت في امكانات الطرفين، والقضاء على الروح الوطنية التي أخذت بعداً أكثر وضوحاً، فحاولت السلطات البريطانية استغلال نقاط الضعف والأنقسامات التي ظهرت بين سكان العراق عن طريق تقريب مجموعة من الذين

(١) الحسني، الثورة، ص٦٥.

(٢) هالة فتاح وفرانك كاسو، خلاصة تاريخ العراق المعاصر، تعريب مصطفى نعمان أحمد، (بغداد: ٢٠١١)، ص١٩.

كان لديهم الأستعداد للتعاون معها وتطبيق سياستها في العراق وابعاد الذين ثاروا ضدها[١]، جاء تأسيس الحكومة العربية المؤقته ليصب في هذا الأتجاه الذي أرادته بريطانيا وسعة لإقامته في العراق، فقد كان على بريطانيا إقامة حكم (وطني) شكلي في العراق ينسجم مع مصالحها، فسعى (برسي كوكس) ((P.Cox))، أول مندوب سام لترشيح شخصية تتوافر فيها مواصفات معينة ليصبح رئيساً للحكومة المؤقتة في العراق، فتم اختيار السيد عبد الرحمن النقيب، ليكون تلك الشخصية التي حظيت بالقبول من لدن البريطانيين لتبوأ هذا الموقع. لم يأت ترشيح السيد عبد الرحمن النقيب لمنصب رئاسة الحكومة العراقية المؤقتة اعتباطاً، فقد ترشحت معه أسماء عدة كان من بينها طالب النقيب، إلا أن سكرتيرة وزارة الخارجية البريطانية لشؤون الشرق الأدنى المس بيل ((M.Bill)) اقنعت برسي كوكس بالمكانة الدينية التي يتمتع بها السيد عبد الرحمن النقيب، فضلاً عن مكانته الاجتماعية وكبر سنه ورجاحة عقله، على العكس من طالب النقيب الذي عرف عن شراسة الطبع وقوة اطماعه الشخصية وطموحاته الواسعة التي لا تعرف حداً معنياً من التوقف، الأمر الذي كان يتعارض مع طبيعة السياسة البريطانية التي ترغب في اسناد الحكومة العراقية المؤقتة إلى شخصية صورية لا تكون أكثر من واجهة ((تبيض وجه السياسة البريطانية التي أصبح حكمها المباشر للعراق كالحاً على حد رأي أحد المؤرخين))[٢].

لم تكن فكرة إقامة حكومة مؤقتة في العراق وليدة الظروف التي تزامنت مع تسنم برسي كوكس منصبه كمندوب سام في العراق، وإنما كان ذلك مطروحاً

(١) فيليب ويلارد ايرلاند، العراق دراسة في تطوره السياسي، تعريب جعفر خياط، (بيروت: ١٩٤٩)، ص٢١٤.

(٢) موفق بني المرجه، السياسة البريطانية في العراق، (بيروت: د.ت)، ص١٣.

قبل ذلك، إلا أن الذي اختلف فيه هو عدم تسنم هذه المسؤولية من قبل كوكس نفسه، وإنما تم تكليف أحد العراقيين بهذه المهمة، وبهذا الصدد يعلق برسي كوكس قائلاً: ((كانت هذه مناسبة شعرت بها بالحاجة إلى تعاون صديقي المحترم السيد عبد الرحمن النقيب الذي تعاون معي كثيراً عند أول احتلالنا لبغداد، لذلك قررت أن أكلفه بأن يرأس مجلس الدولة الذي كنت أفكر بتشكيله)). جاء اختيار برسي كوكس لعبد الرحمن النقيب في محله، فالسيد النقيب كان من أشد الموالين لبريطانيا، ولم يكن يخفي موقفه الموالي لهم والمؤيد لسياستهم، إذ صرح في مناسبات عدة للمس بيل السكرتيرة الشرقية لدار الاعتماد البريطاني ((أن الكثير من جاؤوا إليه طالبين مشورته فأجابهم أن الإنكليز فتحوا هذه البلاد وبذلوا ثروتهم من اجلها كما أراقوا دماءهم في تربتها... لذلك فلا بد لهم التمتع بما فازوا به.. أني أريد أن يدوم حكم الإنكليز في العراق.. وأني اعترف بانتصاركم وانتم الحكام وأنا المحكوم...))[١].

أدركت المرجعية الدينية في النجف الأشرف خطورة الخطوة التي أقدمت عليها بريطانيا بجلبها شخصية كبيرة السن وطاعنة فيه ومؤيدة بشكل كامل للسياسة البريطانية في العراق، لذلك واجهت عملية تشكيل الحكومة العراقية المؤقتة معارضة شديدة من قبلها، وعدت المرجعية الدينية هذه الخطوة التفاتاً على دماء الشهداء الذين قاموا بثورة العشرين، واغفالاً للتضحيات التي ضحوها وقدموها من أجل تغيير السياسة البريطانية في العراق، واجبارها على انتهاج سياسة جديدة تراعي فيها هذا الشعب الذي يختلف عن كل الشعوب التي حكمتها وبضمنها الهند[٢].

(١) المس بيل، فصول من تاريخ العراق القريب، تعريب جعفر الخياط (بيروت: ١٩٧٢)، ج١، ص٦٠.

(٢) غسان الحسني، العراق في الستراتيجية البريطانية حتى عام ١٩٥٨، (بيروت: ٢٠١٠)، ص٩٣.

كانت المرجعية الدينية في النجف الأشرف ترغب في تشكيل مؤتمر عام للعراقيين بدلاً من (حكومة مؤقتة) تأتمر بأمر بريطانيا وتخضع لرغباتها، فضلاً عن ذلك فإن المرجعية كانت تعتقد أن وزارة يرأسها عبد الرحمن النقيب الموالي بكل حواسه لبريطانيا ومجلس وزراء يعينهم برسي كوكس شخصياً ويكون لكل واحد منهم مستشار بريطاني يقوم بالاطلاع على كل ما يرفع للوزير، ويستشيره الأخير في كل شاردة وواردة، فيصبح الوزير، والحال هذه، مجرد أداة بيد المستشار البريطاني ويعمل بأمره، في الوقت الذي أصبح فيه المستشار البريطاني يمثل دولة داخل دولة وبقي الوزير بلا سلطة أو وزارة و((لا يملك من أمره شيئاً))[١].

لم يكن وضع مجلس الوزراء في الحكومة المؤقتة أفضل من وضع رئيسه عبد الرحمن النقيب، فإن هذا المجلس كان أداة طيعة بيد برسي كوكس يأتمر بأمره ولا يمكنه إقرار أي موضوع أو رفضه إلا بموافقة المندوب السامي البريطاني، ويكفي أ نذكر أن وزراء الحكومة الموقتة كان من النفعيين الذين أيدوا بريطانيا في كل خطواتها لاحتلال العراق، فطالب النقيب الذي كان وزيراً للداخلية كان مؤيداً للانتداب البريطاني، حين كان عبد اللطيف المنديل وزير التجارة ((يخلص الود لآل سعود وخصوصاً للسلطان عبد العزيز آل سعود))، وكان من المرحبين جداً بمقدم البريطانيين إلى العراق[٢].

وهكذا أدركت المرجعية الدينية في النجف الأشرف أن عبد الرحمن النقيب وحكومته المؤقتة لا تمثل العراقيين لأنه هذه الحكومة غير وطنية وان تعيين عبد

(١) عبدالحسين القطيفي، السلكة السياسية في العراق الملكي ١٩٢١-١٩٥٨، (بيروت: ٢٠١١)، ص٨٣-٨٤.

(٢) سعدون خير الله، شخصيات العراق في العهد الملكي، (بيروت: د.ت)، ص٧٣.

الرحمن النقيب رئيساً لها كان لمصلحة بريطانيا بالدرجة الأساس لأنه، حسبما قال للمس بيل، متحفظ على قبول أو تسنم أي منصب سياسي، وأن قبوله بهذه الحكومة المؤقتة جاء أثر اقناعه والضغط عليه من قبل المندوب السامي الذي خيره بين أن يصبح رئيساً لهذه الحكومة أو جعل الحكم بأيدي من قاموا بالثورة في الفرت الأوسط، من رجال الشيعة المعارضين لبريطانيا[١].

لقد عزف المندوب السامي على الوتر الحساس وأثاره لدى السيد عبد الرحمن النقيب، فلم ير كوكس أفضل من أن يغزل نقيب الأشراف في بغداد وزعيم الطريقة القادرية ورئيس بلدية بغداد السابق في العهد العثماني بالمنصب وضرورة قبوله به في الخامس والعشرين من تشرين الأول ١٩٢٠ بدلاً من التوجه نحو طائفة أخرى وتسليم الحكم لها، فتشكلت هذه الحكومة وهي تضم بين أعضائها وزراء من طائفة واحدة فقط، فضلاً عن يهودي واحد هو ساسون حسقيل، وزير المالية، ولم يكن تضم أي شيعي فيها سوى ما اضطر رئيس الحكومة المؤقتة من قبوله على مضض بعد أن اعتذر عزة الكركوكلي عن قبل وزارة المعارف واستلم بدلها وزارة الأشغال والأسكان فوجد النقيب في ترشيح برسي كوكس للسيد محمد مهدي الطباطباني لوزارة المعارف اجباراً له على وضعه في هذا المنصب في حين أنه لم يجد ضيراً في تعيين يهودي في منصب مهم مثل وزارة المالية رغم أن اليهود كانوا اقلية صغيرة لا يمكن أن تقاس بنسبة الشيعة الذين قاوموا الاحتلال البريطاني وكانت مناطقهم ساحات لثورة العشرين التي اجبرت بريطانيا على تغيير سياستها المباشرة في العراق[٢].

---

(١) الوردي، المصدر السابق، ج٦، ص١١٣.

(٢) جعفر عبدالرزاق، الدستور والبرلمان في الفكر السياسي الشيعي ١٩٠٥-١٩٢٠، (بغداد: ٢٠٠٥)، ص ص١٦٩-١٧٠.

وهكذا تجد أن بريطانيا ومندوبها السامي في العراق لم يترددان عن استخدام النغمة الطائفية في تأسيس الدولة العراقية الحديثة التي قامت منذ بدايتها على اساس طائفي، فارسوا بذلك سياسة ((فرق تسد المرتبطة بهم ارتباط وثيقا ووضعوها موضع التطبيق، وكان موقف برسي كوكس امتداد لموقف الكولونيل لجمن مع ضاري المحمود شيخ عشرة زوبع العربية الذي حاول استفزازه بالقول له ((أن الحكومة البريطانية حائرة في أمركم لا تدري هل تشكل حكومة شيعية أو سنية))، الأمر الذي دفع الشيخ ضاري للرد عليه قائلاً: ((أن العراق ليس فيه شيعة أو سنة، بل فيه علماء اعلام نرجع إليهم في أمور ديننا...))[١].

بالمقابل رفضت المرجعية الدينية في النجف الأشرف الحكومة المؤقتة وعدت تأسيسها غير شرعي لأنها لم تأت عن طريق انتخابات حرة أو عن طريق مؤتمر عراقي عام، ورفضت أن تكون الشروط والقيود التي فرضت على هذه الوزارة أساساً للحكومة الدائمية المشروعة، وأدركت إن انشاء حكومة مؤقتة على قاعدة (ثنائية الحكم)، القائمة على حصر السلطة الفعلية بيد المندوب السامي البريطاني، والزام الوزراء بتنفيذ مشورة المستشارين البريطانيين وبما يتوافق وصلاحيات الدولة المنتدبة وتعليمات السلطات البريطانية من شأنه أ يخدم المصالح البريطانية ويجعل ارادة العراقيين مرهونة بيد البريطانيين فقط[٢].

---

(١) عدنان عليان، جذور التشيع في الخليج والجزيرة العربية، الشيعة والدولة العراقية الحديثة، ط٥ (بيروت: ٢٠٠٥)، ص٣٥٠.

(٢) سعيد، الثورة، ج٢، ص١٩.

جاء ترتيب الدعوات للأسماء المرشحة للوزارات العراقية في الحكومة المؤقتة وتوزيع المهام عليهم بصورة توحي كأنها صادرة من السيد عبد الرحمن النقيب وذلك لاسباغ «واجهة وطنية عليها وليست بريطانية». فتألفت الحكومة المؤقتة من:

١. السيد عبد الرحمن النقيب	رئيساً.
٢. السيد طالب النقيب	وزيراً للداخلية.
٣. ساسون حسقيل	وزيراً للمالية.
٤. جعفر العسكري	وزيراً للدفاع.
٥. مصطفى الآلوسي	وزيراً للعدلية.
٦. عزت باشا الكركوكلي	وزيراً للأشغال العامة.
٧. السيد محمد مهدي الطباطبائي	وزيراً للمعارف والصحة.
٨. عبد اللطيف المنديل	وزيراً للتجارة.
٩. محمد على فاضل	وزيراً للأوقاف[١].

وضمت التشكيلة الوزارية، فضلاً عن هذه الأسماء، اثني عشر وزيراً بلا وزارة[٢]، معظمهم من كبار الاقطاعيين والتجارة، ولم يراع في تشكيلة الوزارة سواء الذين لديهم حقائب وزارية أو بدونها الوضع الديني أو التمثيل الطائفي والعشائري لأن برسي كوكس اختارهم بتأنٍ لتحقيق هدفين أساسيين: أولهما شق الوحدة الوطنية التي تحققت بفضل ثورة العشرين التحررية وتوحد السنة والشيعة، وإشعار الأخيرين أنهم بهذه التشكيلة التي لم تضم سوى شيعياً واحداً عوقبوا من قبل بريطانيا، وتم منح السلطة إلى غيرهم لكي لا يكرروا تجربتهم في عام ١٩٢٠ ثانية، أما الهدف الثاني الذي سعى إليه برسي كوكس فهو افراغ أي معارضة محتملة

(١) غسان العطية، العراق نشأة الدولة ١٩٠٨-١٩٢١، (لندن: ١٩٨٨)، ص ص٤٦٤-٤٦٥.

(٢) عبدالرزاق الحسيني، تاريخ الوزارات العراقية، (بغداد: ١٩٨٨)، ج١، ص١٩-٢٢.

من أن تؤثر فيها المؤسسة الدينية في النجف الأشرف بشكل اساس، وافراغ فتاواها من اطارها ومحتواها الحقيقي الوطني وإشعار الناس أن معارضة المرجعية في النجف الأشرف للحكومة المؤقتة التي كانت ضعيفة ولا تتوفر بها أبسط مقومات الحكومة الشرعية، إنما هو دفاع عن حقوق الشيعة السياسية وليس دفاعاً عن العراق وحقوقه الوطنية التي غمطت عبر تشكيل حكومة ناقصة وغير قادرة على أداء أي دور لها بسبب هيملة المندوب السامي والمستشارين الذي عينهم على وزرائها، ووجود شخصية كبيرة السن وغير قادرة على تنفيذ ما يطلب منها لأنه حسبما قال للبريطانيين نصاً ((أنا تابع للمنتصر وهو أمر يدل على ضعفه الشديد حسب الوصف الدقيق لأحد المؤرخين العراقيين))[١].

وبعد أن استنفذ برسي كوكس أهدافه من تشكيل الحكومة المؤقتة حاول أن يغازل المرجعية الدينية فيها عندما أعلن عن تغيير وزاري أدخل بموجبه في الثاني والعشرين من شباط ١٩٢١ شيعياً من كربلاء المقدسة هو السيد محمد مهدي بحر العلوم ليصبح وزيراً للمعارف في الحكومة النقيبية[٢]، إلا أن هذا الإجراء لم يرض المرجعية الدينية في النجف الأشرف لأنها كانت اقدر على معرفة مجلس وزراء مؤقت مؤلف من أكثر من عشرين شخصية عراقية من مذهب معين، لم يأت منح محمد علي بحر العلوم وزارة المعارف رغبة في إدخال الشيعة في لحكم أو اشراكهم في القرار السياسي للعراق، وإنما جاء لأن بحر العلوم كان على صلة وثيقة بالحكام السياسيين والضباط البريطانيين في كربلاء المقدسة، فضلاً عن ذلك، فإن عائلته

(١) بطاطو، المصدر السابق، ص٢٠٣.

(٢) عبدالرزاق الحسني، تاريخ العراق السياسي الحديث، ط٧، (بيروت: ٢٠٠٨)، ص١٩٣.

الإيرانية الأصل التي تحولتن إلى التبعية العثمانية كانت مستأثرة بتوزيع أموال الوقف من خارج العراق[١].

بالمقابل حاولت المس بيل تصوير الوضع وهذا التغيير بشكل مبالغ فيه فقالت بهذا الصدد ((لا يزال الشيعة على الموقف العدائي وشكواهم الرئيسة، أن الوزارة لا تضم شيعي واحد من الوزراء أصحاب الحقائب، واعتقدوا أن تغييراً وزارياً سيحصل لكي يدخل واحد منهم فيها))[٢]، وتم هذا التغيير ليصبح وزيراً شيعياً واحد مقابل عشرين وزيراً غير شيعياً[٣].

يسلط لنا (السر رونالد ستورس) ((Sir Rona;d Storrs)) وهو أحد البريطانيين لذين التحقوا بالجيش البريطاني بعد احتلال بغداد مباشرة عام ١٩١٧ الضوء على معاناة أبناء العراق الذين قاموا بثورة العشرين وشعور قسم غير قليل منهم بالظلم للمعادلة التي رسمها برسي كوكس وإقامته للدولة القومية الطائفية في العراق، وخلقه بؤرة توتر دائمة في هذا الوطن، وقيامه بتجزئة مقصودة للوحدة الوطنية فيه[٤]، أثناء مقابلة له مع السيد محمد كاظم اليزيدي، زعيم الحوزة العلمية في النجف الأشرف ورفض الأخير قبوله رشوة من بريطانيا بلغت ألف ديناراً، وطلبه بدلاً من ذلك الاهتمام بالمراقد المقدسة في العراق، وفي مقدمتها النجف الأشرف وكربلاء المقدسة وسامراء والكاظمية والعمل على صيانتها والحفاظ على أثارها

---

(١) طارق مجيد تقي العقيلي، بريطانيا ولعبة السلطة في العراق، التيار القومي والطائفة السياسية، (بغداد: ٢٠١٠)، ص٤٢.

(٢) بثينة الناصري، خلق الملوك، (بغداد: ١٩٧٣)، ص٦٧.

(٣) سعد عبدالحسين الشرقي، العراق في ظل المعادلة البريطانية، (بيروت: ٢٠١١)، ص٦٥.

(٤) العقيلي، بريطانيا، ص٤٤.

لأن العثمانيين لم يقوموا بدورهم كما يجب تجاه المدن المقدسة ونقل ستورس عن المرجع الديني الأعلى في النجف الأشرف ما قاله له أيضاً: ((لقد أضاع العثمانيون عطفنا وثقتنا لأنهم دمروا كل ما نملك وداسوا مصالحنا بأقدامهم. أما أنتم فإن أردتم المحافظة على ولائنا فعليكم أن لا تغيظونا باتباع تلك السياسية))، فلخصت كلمات اليزدي حقيقة ما كان يعتمل في نفوس أبناء العراق الوطنيين الذين اختاروا الوقوف في خندق الحركة الوطنية مفضلين اياها على منصب أو مكسب دنيوي يمنحه المحتل البريطاني لهم. عدت بعض المصادر التاريخية أن تشكيل الحكومة العراقية المؤقتة من قبل برسي كوكس وإصراره على تكوينها الطائفي كان الهدف منها هو إبقاء العراق ضمن الإطار الطائفي الإقليمي وجعل الطائفة السياسية سمة ملازمة للحكم في هذا البلد طوال السيطرة البريطانية عليه، لأن البريطانيين وجدوا أن من مصلحتهم التعامل مع نخبة معينة، ويقومون بدعمها أفضل من أن يتعاملوا مع أغلبية لا ترى فيهم سوى محتلين يجب مقاومتهم، وضرورة أن تأخذ السلطات البريطانية رأي الشعب العراقي في شكل الحكومة التي شكلها عن طريق الانتخابات ومنح الحريات العامة للعراقيين، والجوانب التي راعاها برسي كوكس عند تشكيله للحكومة المؤقتة في العراق[١]، وعارضتها المرجعية الدينية الرشيدة باستمرار.

ومن جانبها فقد حاولت الحكومة العراقية المؤقتة اتخاذ بعض الإجراءات الشكلية من أجل اضفاء صفة الوطنية عليها وإبعاد شبهة هيمنة البريطانيين على حركتها، فتم إعادة المنفيين من الثوار العراقيين من جزيرة هنجام في الخليج العربي إلى العراق لقاء تعهدات مكتوبة بعدم القيام بأي نشاط سياسي ضد بريطانيا والطاعة

(١) عبدالله فهد النفيسي، دور الشيعة في تطور العراق الحديث (د.م: ١٩٧٦)، ص ص١٩٩-٢٠٠.

والانقياد لأوامر الحكومة المؤقتة، وإنشاء بعض الدواوين للدوائر التي تقرر أن يعمل فيها الموظفون العراقيون تحت اشراف السلطات البريطانية، لكن ذلك لم يثن المرجعية الدينية في النجف الأشرف وعلى رأسها شيخ الشريعة الأصفهاني في مهاجمة الحكومة العراقية المؤقتة بوصفها صنيعة لبريطانيا وسائرة في ركابها، وأن تشكيلها جاء التفافاً على تضحيات العراقيين ومحاولة تكتيكية من السلطات البريطانية لعدم تشكيل المؤتمر العام[١].

ظل المؤتمر العام الذي كانت المرجعية الدينية هاجس من هواجسها وهواجس الوطنيين الآخرين في العراق، وكانوا يهدفون من وراء طرحه أن يكون بديلاً عن الحكومة المؤقتة التي شكلها السيد عبد الرحمن النقيب وإرساء دعائم حكم ديمقراطي مقيد بدستور مكتوب، ليمثل هذا الطرح انتقاله نوعية في طبيعة استيعاب متطلبات المرحلة التاريخية ومواجهة أساليب بريطانيا الملتوية لضرب الحركة الوطنية في العراق[٢]، المسألة لتي أشارت إليها أحدى الصحف العراقية صراحة بقولها أن انتخاب مؤتمر وطني ينظم دستوراً يتضمن نظام الحكم وتشكيل حكومة بموجب الدستور تعد من أولى مستلزمات ((ارساء دعائم الاستقرار في البلاد)). أيدت المرجعية الدينية في كربلاء المقدسة والكاظمية ما ذهب إليه المرجعية الدينية في النجف وفي مقدمتها شيخ الشريعة الأصفهاني من ضرورة قيام المؤتمر العام وأهمية تأليف حكومة منتخبة من الشعب العراقي لا من المندوب السامي البريطاني، فقد كانت المرجعية الدينية في النجف الأشرف تدرك أن ظاهرة الحكومة

---

(١) الشرقي، المصدر السابق، ص٦٦.

(٢) علاء حسين الرهيمي، المعارض البرلمانية في العراق في عهد الملك فيصل الأول دراسة تحليلية، (بغداد: ٢٠٠٨)، ص٥٧.

المؤقتة هو عراقي إلا أن باطنها ومحركها الأساسي هو بريطاني، لذلك فهي محكومة بالفشل ومقيدة في كل تحركاتها بموافقة المندوب السامي الذي كان مهيمناً عليها هيمنة تامة، فأضحت هذه الحكومة مجرد واجهة شكلية فحسب، لم يعد خافياً على الوطنيين العراقيين ((اين تستقر السلطة أما مجلس الوزراء فهو محض واجهة فقط. كانت المرجعية الدينية في النجف الأشرف، وبسبب هشاشة الحكومة العراقية المؤقتة، تتوقع في أي لحظة أن تسقط هذه الحكومة أما بسبب وفاة رئيسها الطاعن في السن (لأن عبدالرحمن المقدسي كان في الخامس والسبعين من العمر)، أو بسبب عدم قدرة الوزراء على تحمل الانتقادات التي كانت توجه لهم، فضلاً عن عدم انسجام هذه التشكيلة الوزارية فيما بينها ووجود اثني عشر شيخاً ووجيهاً بلا وزارة ولا عمل لهم سوى قبض الرواتب والحصول على وجاهة شكلية لا يحتاجونها[1]، لذلك لم يكن البريطانيون بعيدين عن نبض الشارع العراقي، فقد ورد في أحد التقارير البريطانية ((أن الناس يتنبأون بسقوط مشروع الحكم الجديد، وأن المقاهي امتلأت بالأحاديث عن مكر البريطانيين وخططهم للسير بالعراق نحو إقامة حكومة وطنية كاذبة ظاهرة عراقية، وباطنها بريطانية، وقد سرى هذا الاتجاه على أصحاب الفكر والرأي في العراق بأكمله))، ويستطرد التقرير ليؤكد أن أكثر من يؤثر على العراقيين الذين يعادونا هم «أصحاب العمائم من رجال الدين الشيعة». بالمقابل لم ينفع الحكومة العراقية المؤقتة ما اتخذته من إجراءات شكلية إضافية من أجل اشعار العراقيين أنها حكومة عراقية خاصة لهم من قبيل نقل مقر مجلس الوزراء إلى ابنية الحكومة العثمانية السابقة، واستحداث علم جديد يحل محل العلم البريطاني، وكان ذلك بتوجيه من برسي كوكس لكي يشعر العراقيون أن حكومتهم تسعى لخدمتهم ويلغي

(١) عبد الرضا محمد حسين، وزراء العراق في العهد الملكي، (بيروت: د.ت)، ص ص٥٣-٥٤.

المبرر القاتل بعدم اقتناع العراقيون (كلياً بجدية نوايا حكومة جلالته))[١].

إن هذه الإجراءات الشكلية التي قامت بها الحكومة العراقية المؤقتة لم تكن ذات تأثير يذكر على أوساط المرجعية الدينية والسياسية العراقية لأن هؤلاء قد خبروا النوايا البريطانية وأدركوا، مثل غيرهم من الناس، بحكم تقدم وعيهم السياسي والفكري واصطدامهم بالبريطانيين في ثورة العشرين طبيعة الأساليب البريطانية وسلكوهم الخبيث مع العراقيين وشراء ذمم بع النفسيات الضعيفة ممن والاهم، لذلك نجد أن العراقيين المنفيين الذين عادوا من جزيرة (هنجام) ووقعوا على تعهدات خطية بعدم معارضة الحكومة المؤقتة والتخلي عن الأساليب السابقة، فإنهم هيأوا فرصة لغيرهم لكي يطالبوا بإعادة الحياة الحزبية في العراق، الأمر الذي طالبت به صراحة أحدى الصحف العراقية، حيث جاء ضمن مطاليبها ضرورة ((إطلاق حرية المطبوعات وتشكيل اندية سياسية رسمية)). لقد أدركت المرجعية الدينية في النجف الأشرف، أن تشكيل الحكومة العراقية المؤقتة هو اخطر خطوة اتخذتها بريطانيا للالتفاف على ثورة العشرين التحررية، ومحاولة منها فك عرى التحالف الوثيقة بين فئات الشعب العراقي التي صلبت الثورة عودها، وكان تشكيل هذه الحكومة يصب في المصلحة البريطانية بالدرجة الأساس، فركزت من خلالها الطبيعة النخبوية الطائفية للحكم في العراق من أجل استمرار الهيمنة البريطانية على الأشخاص الذين تم الاعتماد عليهم، فظلت الوزارات العراقية حكراً على مجموعة معينة، ووسمت السمة الطائفية منذ تشكيل هذه الحكومة العراق بميممها[٢].

---

(١) العطية، المصدر السابق، ص٤٦٥.

(٢) حسن شبر، العمل الحزبي في العراق ١٩٠٨-١٩٥٨، (بيروت: ١٩٨٩)، ص١١٣.

موقف المرجعية الدينية من ترشيح الأمير فيصل لعرش العراق

لم يكن بإمكان السلطات البريطانية أن يبقى العراق بدون ملك أو عاهل عربي يحكمه لإكمال واجهة الحكومة العراقية لمؤقتة من جهة، ولكي يعقد مع بريطانيا معاهدة تحل محل الانتداب من جهة أخرى، فتعددت الآراء حول من يحكم العراق وما هي المواصفات التي يجب أن تتوفر فيه، وضمن الأسماء والمقترحات التي طرحت هو أن يستلم المندوب السامي البريطاني برسي كوكس هذه المسؤولية، ويصبح ملكاً على العراق، إلا أن هذا المقترح لم يحظ بالموافقة لأن ذلك قد يثير العراقيين ويدفعهم مرة أخرى للثورة على السلطات البريطانية لأنه إعادة الحكم البريطاني المباشر، فطرح اسم أحد أنجال الملك حسين لتسنم هذه المسؤولية، لأن ذلك سيكون مقبولاً من قبل العراقيين، وسيذكر ويحتفظ بفضل بريطانيا عليه، فيعقد معها معاهدة تحل محل الانتداب[١].

بالمقابل كانت المرجعية الدينية في النجف الأشرف مع ترشيح الأمير فيصل أو أحد انجال الشريف حسين بن علي لعرش العراق وإنشاء حكومة عربية دستورية، فأرسل أبناء النجف الأشراف والشخصيات الوطنية في الفرات الأوسط إلى الشريف حسين برقيات ناشدته إرسال ابنه فيصل إلى العراق لاعتلاء عرشه لأنه يمتلك بعد نظر سياسي ومشاعر قومية وخبرة سياسية وقدرة على إدارة بلد مثل العراق متنوع القوميات وخضع لفترة طويلة للاحتلال العثماني، لم يقم العثمانيون بأي دور إيجابي لإصلاح الأوضاع في مختلف المجالات والجوانب، فضلاً عن ذلك فإن منهاج الجمعيات والحركات السياسية في العراق[٢]، وتأكيدات علماء الدين

(١) العطية، المصدر السابق، ص٤٦٦.

(٢) هيثم حسين ابراهيم، موقف مدينة النجف في الأحزاب السياسية في العراق ١٩٤٥-١٩٥٨، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد التاريخ العربي والتراث العلمي للدراسات العليا، (بغداد: ٢٠١١)، ص١٢-١٤.

والسياسة في المدن المقدسة على أهمية الحصول على الاستقلال، فقد كان الوطنيون العراقيون يعتمدون أن أفضل من يحقق لهم هذا الاستقلال هو الأمير فيصل بن شريف حسين، كما انتساب الأمير فيصل إلى الأسرة الهاشمية وكونه من سلالة الرسول الأعظم محمدﷺ يجعل ابناء المدن المقدسة مثل غيرهم من العراقيون يتعاطفون معه ويحترمون نسبهُ الشريف. بالمقابل كان لبعض الساسة البريطانيين آرائهم المتوافقة مع الرأي القائل بضرورة إسناد حكم العراق للأمير فيصل، فقد عدّ نائب الحاكم البريطاني العام (ارنولد ويلسون) ((A.Wilson)) أن فيصل هو الوحيد من بين الملوك العرب الذي لديه فكرة عن الصعوبات العلمية في إدارة حكومة متمدنة على أسس عربية، وهو يدرك أن المعونة الخارجية (البريطانية) جوهرية لدوام حكومة عربية. ويدر خطر الاعتماد على جيش عربي، فإذا عرضنا عليه إمارة العراق فإننا سنعيد اعتبارنا في أعين العالم العري، وليس هذا فقط، وإنما سنزيل إلى حد كبير التهمة التي يمكن أن توجه إلينا عن سوء نيتنا تجاه فيصل وتجاه شعب هذه البلاد معاً...، أما برسي كوكس فقد أشار إلى أن ((ترشيح أحد أبناء الحسين شريف مكة المكرمة وملك الحجاز قد ينال رضى اغلبية الشعب العراقي إن لم يكن أجمعه))[١].

كان الساسة البريطانيون يدركون أن ترشيح شخصية أخوى من خارج البيت الهاشمي، تحديداً من أنجال الشريف الحسين بن علي لن يكون مقبولاً من العراقيين، لا سيما من قبل المرجعية الدينية في النجف الأشرف التي كان برسي كوكس يخشاها كثيراً حتى أنه قال في أحد تقاريره عنها ((أن كربلاء لم تسبب لنا مشكلة خطيرة،

(١) أحمد رفيق البرقاوي، العلاقات السياسية في العراق وبريطانيا ١٩٢٢-١٩٣٢، (بغداد: ١٩٨٠)، ص٢٦.

أما النجف التي كانت فريسة في أيدي شيوخ البلد المحلين، فقد بقيت شوكت في جنبنا مدة من الزمن))[١].

لم يكن الأمير فيصل بعيداً عن ابناء العراق أو غريباً عن بعض الشخصيات الوطنية العراقية فقد أوفدت مدينة النجف الأشرف إلى الحجاز فيث أواخر تموز ١٩١٩ الشيخ محمد رضا الشبيبي، لينقل للشريف حين بن علي أوضاع العراق العامة، ومطالبة أبناء المدن المقدسة ومعهم عموم العراقيين بضرورة ارسال أحد انجاله لحكم العراق[٢].

أدركت بريطانيا أن المرشحين الآخرين لعرض العراق لا يمكن أن يكونوا بمستوى الأمير فيصل لأنهم سوف لن يحظوا بالقبول والموافقة لا سيما من لدن المرجعية في النجف الأشرف التي كان لها الدور الأساس في دفع العراقيين للثورة على السلطات البريطانية ابن ثورة العشرين، والتزام هذه المدينة المقدسة، وفي جميع المراحل التاريخية التي امتدت منذ أواخر العهد العثماني وبداية الانتداب البريطاني بالخط المعارض للسيطرة والهيمنة الأجنبية على العراق، ورفضا سياسة المندوب السامي برسي كوكس في ترسيخ التفرقة الطائفية بين العراقيين ومحاولة دعم اشخاص معينين من طائفة واحدة على حساب الآخرين وخنق التطلعات الوطنية لأبناء المدن المقدسة بوجه خاص، وعموم الحركة الوطنية في العراق بوجع عام[٣].

---

(١) جعفر خياط، ((النجف في المراجع الغربية))، بحث ضمن موسوعة العتبات المقدسة لجعفر الخليلي، (النجف الأشرف: ١٩٦٦)، ج١، ص٢٦.

(٢) آل فرعون، المصدر السابق، ص٥١٨.

(٣) مقدام عبد الحسن باقر الفياض، تاريخ النجف السياسي ١٩٤١-١٩٥٨، رسالة ماجستير، جامعة الكوفة (كلية الآداب: ٢٠٠٠)، ص ص١٢-١٣.

إن الذين ترشحت اسمائهم مع الأمير فيصل مثل السيد عبد الرحمن النقيب رئيس الحكومة المؤقتة لم يحظ بقبول المرجعية الدينية والأوساط والنخب السياسية لا بسبب توجهاته الدينية الطائفية وموالاته للبريطانيين[١]. ومعارضة جنوب العراق له فحسب، بل لأنه محسوب على توجه معين وشيخوخته ومرضه وعدم قدرته على تحقيق ما يصبوا إليه العراقيين من الحد الأدنى من حقوقهم واستحصالها من بريطانيا، كما طالب النقيب لم يكن أفضل منه لأنه كان يتميز بالبطش والقسوة والاستغلال وعدم استقرار سياسياً، لذلك لم يكن جديراً بمنصب ملوكية العراق[٢]، أما بقية المرشحين مثل عبد الهادي العمري من الموصل وبرهان الدين نجل آخر السلاطين العثمانيين وآغا خاب الغريب عن العراقيين قومياً والشيخ خزعل شيخ المحمرة وابن سعود فهم لم يحظوا بموافقة العراقيين عموماً، والمرجعية الدينية في النجف الأشرف خصوصاً لاعتبارات عدة كانت موجودة في الأمير فيصل وغير متوفرة لديهم[٣].

وهكذا جاء اختيار البريطانيين للأمير فيصل بن الحسين بوصفه أفضل مرشح لعرش العراق لاعتبارات عدة يقف في مقدمتها عدم انتماءه لأي من الولايات العراقية الثلاث وقبائلها العربية، مما سيجعله في موقف الغريب عن البلاد، وسيضطره ذلك الاعتماد على بريطانيا في تقديم الدعم اللازم له لإدارة الحكم في لعراق ولضمان بقاء في المنصب، فضلاً عن ذلك فإن الموظفين المدنيين البريطانيين

---

(١) عقيل الناصري، الجيش والسلطة في العراق الملكي ١٩٢١-١٩٥٨، (دمشق: ٢٠٠٠)، ص٥٥-٥٨.

(٢) عبدالرحمن البزاز، العراق من الاحتلال حتى الاستقلال، (بغداد: ١٩٦٧)، ص٩٧.

(٣) سلام محمد علي، المعارضة العراقية في الميزان ١٩٢١-١٩٥٨، (بيروت: ٢٠٠٩)، ص٧٧.

سيظلون استشاريين ومدربين لم هم تحت رعايتهم من الوزراء والموظفين العراقيين، فأدى تبنيه واختياره من قبل بريطانيا إلى ابعاد أي فرصة لأي مرشح آخر من العراقيين، ولكن من المهم، والأساس لبريطانيا أن لا تثير ضده أي معارضة شعبية تحبط مشروعها في العراق الذي لم تستطيع الحكومة المؤقتة من أن تنفذه أو أن تحقق جزءاً كبيراً منه لضعفها ولعدم حصولها على القبول والرضا من لدن قطاعات واسعة من العراقيين وفي مقدمتها قبول المرجعية الدينية في النجف الأشرف والحركة الوطنية العراقية، لذلك كانت بريطانيا مستعدة لقبول معارضة شكلية له لإضفاء طابع ((ديمقراطي على تسمنه الحكم وابعاد ((شبهة كونه ((رجل بريطانيا في العراق))[1].

ومن جانبه فقد وحاول كوكس إجراء عملية ضغط ذكية عندما اصدر بيانات عدة اشارات محتواها إلى أن امر اختيار النظام السياسي في العراق يعود إلى العراقيين انفسهم، لكن عليهم انتخاب مندوبين عنهم لكي يعقد ((مؤتمر عام يتم من خلاله اختيار شكل النظام الذي يريدونه ونوع الحاكم الذي يختارونه، فانعقد مؤتمر القاهرة في الثاني من آذار عام ١٩٢١ برئاسة وزير المستعمرات آنذاك (ونستون تشرشل (W. Churchill)وعدد من المستشارين البريطانيين، فوقع رأي المؤتمرين على ترشيح الأمير فيصل لعرش العراق من قبل دهاقنة السياسة البريطانية في الشرق الأوسط تعبيراً عن الرغبة التي تولدت لدى هؤلاء في مراعاة الرغبات الوطنية للمرجعية الدينية في النجف الأشرف، وعدم استعداد بريطانيا للدخول في مواجهة ثورة جديدة في العراق وترك الأمر لسكانه نتيجة الخسائر التي تكبدتها بريطانيا

(١) عامر حسن فياض، جذور الفكر الديمقراطي في العراق الحديث ١٩١٤-١٩٣٩، (بغداد: ٢٠٠٢، ص١٩٧.

في واستحقاقات ديون بريطانيا الكبيرة للولايات المتحدة الأمريكية. لقد كانت التطلعات الراغبة بمجيء الأمير فيصل بن الحسين إلى العراق وترشحه ملكاً من قبل الزعماء الوطنيين في العراق وفي مقدمتهم المرجعية الدينية في النجف الأشرف متوافقة، دون قصد، مع الرغبة البريطانية في هذا الاختيار، لا بل أن المضابط الرسمية التي ثبتها الزعماء العراقيون على ترشيح الأمير فيصل كانت تشير إلى رغبة العراقيين في تولي أحد انجال الشريف حسين بن علي عرش العراق، فكان ذلك، فضلاً عن رسائلهم، التي ارسلوها إلى الحجاز قد نبهت البريطانيين إلى أهمية ترشح الأمير فيصل الأول لعرش العراق، لا سيما أنه أبدى قبوله بالانتداب وبالمساعدة البريطانية له لأن شعب العراق غير مؤهل بعد للمسؤولية الحكومية، فحسبما أكد فيصل لأحد المسؤولين البريطانيين أنه ((يطلب مساعدة بريطانية لكي يتبوأ عرش بلد إذا ما ترك لرحمة السكان المحليين فستؤول جميع الأمور هناك إلى كارثة...))[1].

لقد رأت النخب الفكرية والسياسية والدينية في النجف الأشرف في شخص الأمير فيصل الأول – باستثناء القلة منهم – رجلاً رفيع النسب، سامي الخلق، مؤهلاً لأن يكون موضع ثقة وآمال العراقيين، إلا أن علاقاته مع بريطانيين وارتباطه بهم، ودعوته لمساعدتهم لحكم شعب صعب المراس، وحكمه صعب المراس لأنه متعدد القوميات والطوائف، حسبما يصف الأمير فيصل نفسه هذا الشعب، كانت نقطة فاصلة في توجهات المرجعية الدينية التي كانت على طوال الخط معارضة لمن يؤيد السياسة البريطانية ويعول عليها لأن التعويل على العامل الذاتي المتمثل بتضحيات العراقيين ورغبتهم في التحرر من السيطرة البريطانية البغيضة هو الأساس لديهم.

---

(١) محمد هاشم خويطر، ((موقف المرجعية الدينية في النجف من الأحداث السياسية في العراق ١٩١٨-١٩٢٢))، الجامعة المستنصرية، مجلة كلية التربية، العدد ١٢، ٢٠١٦، ص٣٠٦.

قائمة المصادر:

١. أحمد رفيق البرقاوي، العلاقات السياسية في العراق وبريطانيا ١٩٢٢-١٩٣٢، (بغداد: ١٩٨٠).

٢. أرنولد ولسن، الثورة العراقية، ترجمة جعفر الخياط، (بغداد: ١٩٧١).

٣. أمين سعيد، الثورة العربية الكبرى،، (القاهرة: د.ت)، ج٢.

٤. انور علي الحبوبي، دور المثقفين في ثورة العشرين، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الآداب، (١٩٨٩).

٥. بثينة الناصري، خلق الملوك، (بغداد: ١٩٧٣).

٦. البرت منتشافيلي، العراق في سنوات الانتداب البريطاني، ترجمة هاشم صالح التكريتي، (بغداد: ١٩٧٨).

٧. ثامر مكي علي، ((السيد محمد الصدر دراسة في دوره السياسي والإداري في العراق (١٨٨٣-١٩٢٢)))، مجلة ميسان للدراسات الأكاديمية، مج١١، العدد٢٠، (حزيران: ٢٠١٢).

٨. جعفر خياط، ((النجف في المراجع الغربية))، بحث ضمن موسوعة العتبات المقدسة لجعفر الخليلي، (النجف الأشرف: ١٩٦٦)، ج١.

٩. جعفر عبدالرزاق، الدستور والبرلمان في الفكر السياسي الشيعي ١٩٠٥-١٩٢٠، (بغداد: ٢٠٠٥).

١٠. حسن داخل عطية، الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية في مدينة كربلاء ١٩٢١-١٩٣٩، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة المستنصرية (كلية التربية الأساسية: ٢٠١٣).

١١. حسن شبر، العمل الحزبي في العراق ١٩٠٨-١٩٥٨، (بيروت: ١٩٨٩).

١٢. حسين عبدالواحد بدر، موقف المؤسسة الدينية في النجف من مشروع الدولة الوطنية في العراق (١٩١٨-١٩٤١)، أطروحة دكتوراه غير منشورة، بغداد كلية الآداب، ٢٠١٠.

١٣. حنا بطاطو، العراق الطبقات الاجتماعية والحركات الثورية في العهد العثماني والحركات الثورية في العهد العثماني من قيام الجمهورية الكتاب الأول، تعريب عفيف الرزاز، ط٢، (بيروت: ١٩٩٥).

١٤. ساطع الحصري، يوم ميسلون صفحة من تاريخ العرب الحديث، (بيروت: ١٩٨٥).

١٥. سعد عبدالحسين الشرقي، العراق في ظل المعادلة البريطانية، (بيروت: ٢٠١١).

١٦. سعدون خير الله، شخصيات العراق في العهد الملكي، (بيروت: د.ت).

١٧. سلام محمد علي، المعارضة العراقية في الميزان ١٩٢١-١٩٥٨، (بيروت: ٢٠٠٩).

١٨. طارق مجيد تقي العقيلي، بريطانيا ولعبة السلطة في العراق، التيار القومي والطائفة السياسية، (بغداد: ٢٠١٠).

١٩. عادل تقي البلداوي، التكوين الاجتماعي للأحزاب والجمعيات السياسية في العراق ١٩٠٨-١٩٥٨، (بغداد: ٢٠٠٣).

٢٠. عامر حسن فياض، جذور الفكر الديمقراطي في العراق الحديث ١٩١٤-١٩٣٩، (بغداد: ٢٠٠٢.

٢١. عباس علي، زعيم الثورة العراقية، (بغداد: ١٩٥٠).

٢٢. عباس محمد كاظم، ثورة الخامس عشر من شعبان (ثورة العشرين)، (د.م: ١٩٨٤).

٢٣. عبد الرضا محمد حسين، وزراء العراق في العهد الملكي، (بيروت: د.ت).

٢٤. عبدالحسين الحلي، شيخ الشريعة ودوره في قيادة ثورة العشرين، تحقيق كامل سلمان الجبوري، (النجف الأشرف: ٢٠٠٥).

٢٥. عبدالحسين القطيفي، السلكة السياسية في العراق الملكي ١٩٢١-١٩٥٨، (بيروت: ٢٠١١).
٢٦. عبدالحليم الرهيمي، تاريخ الحركة الإسلامية في العراق الجذور الفكرية الواقع التاريخي ١٩٠٠-١٩٢٤، (بيروت: ١٩٨٥).
٢٧. عبدالرحمن البزاز، العراق من الاحتلال حتى الاستقلال، (بغداد: ١٩٦٧).
٢٨. عبدالرزاق الحسني، ((كيف قضيت ثورة العشرين على الحاق العراق بالهند))، مجلة افاق عربية، العدد ٦، ١٩٨٩.
٢٩. عبدالرزاق الحسني، الثورة العراقية الكبرى، (بيروت: ١٩٧٢).
٣٠. عبدالرزاق الحسني، العراق في دوري الاحتلال والانتداب، (صيدا: ١٩٣٥).
٣١. عبدالرزاق الحسني، تاريخ العراق السياسي الحديث، ط٧، (بيروت: ٢٠٠٨).
٣٢. عبدالرزاق الحسيني، تاريخ الوزارات العراقية، (بغداد: ١٩٨٨)، ج١.
٣٣. عبدالرزاق عبد الدراجي، جعفر أبو التمن ودوره في الحركة الوطنية في العراق، ط٢ (بغداد: ١٩٨٠).
٣٤. عبدالستار شنين الجنابي، تاريخ النجف السياسي ١٩٢١-١٩٤١، (د.م: ٢٠١٠).
٣٥. عبدالكريم آل نجف، من أعلام الفكر والقيادة والمرجعية، (النجف الأشرف: ٢٠٠٧)، ج١.
٣٦. عبدالله الفياض، الثورة العراقية الكبرى سنة ١٩٢٠، ط٢ (بغداد: ١٩٧٥).
٣٧. عبدالله فهد النفيسي، دور الشيعة في تطور العراق الحديث (د.م: ١٩٧٦).
٣٨. عدنان عليان، جذور التشيع في الخليج والجزيرة العربية، الشيعة والدولة العراقية الحديثة، ط٥ (بيروت: ٢٠٠٥).
٣٩. عقيل الناصري، الجيش والسلطة في العراق الملكي ١٩٢١-١٩٥٨، (دمشق: ٢٠٠٠).

٤٠. علاء حسين الرهيمي، المعارض البرلمانية في العراق في عهد الملك فيصل الأول دراسة تحليلية، (بغداد: ٢٠٠٨).

٤١. علي البازركان، الوقائع الحقيقية في الثورة العراقية، (بغداد: ١٩٥٤).

٤٢. علي الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، (بيروت: ٢٠٠٥)، ج٦.

٤٣. عمار يوسف عبدالله عويد العكيدي، السياسة البريطانية تجاه عشائر العراق ١٩١٤-١٩٤٥، أطروحة دكتوراه، جامعة الموصل (كلية التربية: ٢٠٠٢).

٤٤. غسان الحسني، العراق في الستراتيجية البريطانية حتى عام ١٩٥٨، (بيروت: ٢٠١٠).

٤٥. غسان العطية، العراق نشأة الدولة ١٩٠٨-١٩٢١، (لندن: ١٩٨٨).

٤٦. فريق المزهر آل فرعون، الحقائق الناصعة في الثورة العراقية ١٩٢٠ ونتائجها، (بغداد: ١٩٥٢)، ج٢.

٤٧. فيليب ويلارد ايرلاند، العراق دراسة في تطوره السياسي، تعريب جعفر خياط، (بيروت: ١٩٤٩).

٤٨. كاظم الدجيلي، أحداث ثورة العشرين، (بغداد: ١٩٧٣).

٤٩. كامل سلمان الجبوري، وثائق الثورة العراقية الكبرى ومقدماتها ونتائجها ١٩١٤-١٩٢٣، (بيروت: ٢٠٠٩)، ج٣.

٥٠. كامل سلمان الجبوري، النجف الأشرف والثورة العراقية الكبرى ١٩٢٠، (بيروت: ٢٠٠٥).

٥١. كمال مظهر أحمد، ثورة العشرين في الاستشراق السوفيتي، (بغداد: ١٩٧٧).

٥٢. ل.ن كوتلوف، ثورة العشرين الوطنية التحررية في العراق، ترجمة عبدالواحد كرم، (بغداد: ١٩٧٥).

٥٣. مجيد خدوري، نظام الحكم في العراق، ترجمة فيصل نجم الدين اطرقجي، (بغداد: ١٩٤٦).

٥٤. محمد ابراهيم محمد، ((الغارات الجوية البريطانية على جنوبي العراق أيام ثورة العشرين))، مجلة التراث النجفي، النجف، العددان (٢٢-٢٣)، حزيران ٢٠٠٩.
٥٥. محمد باقر أحمد البهادلي، الحياة الفكرية في النجف الأشرف، (قم: ٢٠٠٤).
٥٦. محمد حسن آل طعمة، ((ثوار كربلاء يشكلون حكومة محلية في كربلاء))، جريدة المجتمع، العدد ٢٩-٢١، حزيران ١٩٧١.
٥٧. محمد طاهر العمري، تاريخ مقدرات العراق السياسية، (بغداد: ١٩٢٥)، ج٣.
٥٨. محمد مظفر الادهمي، المجلس التأسيسي العراقي دراسة تاريخية سياسية، (بغداد: ١٩٧٦).
٥٩. محمد مهدي البصير، تاريخ القضية العراقية، (بغداد: ١٩٢٤).
٦٠. محمد هاشم خويطر، ((موقف المرجعية الدينية في النجف من الأحداث السياسية في العراق ١٩١٨-١٩٢٢))، الجامعة المستنصرية، مجلة كلية التربية، العدد ١٢، ٢٠١٦.
٦١. مس بيل، العراق في رسائل مس بل، ترجمة جعفر خياط، (بغداد: ١٩٧٧).
٦٢. المس بيل، فصول من تاريخ العراق القريب، تعريب جعفر الخياط (بيروت: ١٩٧٢)، ج١.
٦٣. مقدام عبد الحسن باقر الفياض، تاريخ النجف السياسي ١٩٤١-١٩٥٨، رسالة ماجستير، جامعة الكوفة (كلية الآداب: ٢٠٠٠).
٦٤. مكتب منابع الثقافة الإسلامية، كربلاء المقدسة تفجر ثورة العشرين، الكتاب الخامس، (النجف الأشرف: ١٩٦٨).
٦٥. موفق بني المرجه، السياسة البريطانية في العراق، (بيروت: د.ت).
٦٦. مير بصري، اعلام السياسة في العراق الحديث، (دار الحكمة: ٢٠٠٤)، ج١.

٦٧. ناجي وداعه، لمحات من تاريخ النجف، (النجف الأشرف: ١٩٧٣)، ج١.
٦٨. ناهدة حسين علي ويسي، تاريخ النجف في العهد العثماني الأخير ١٨٣١-١٩٢٧، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد، كلية التربية (ابن رشد): ١٩٩٩.
٦٩. هالة فتاح وفرانك كاسو، خلاصة تاريخ العراق المعاصر، تعريب مصطفى نعمان أحمد، (بغداد: ٢٠١١).
٧٠. هيثم حسين ابراهيم، موقف مدينة النجف في الأحزاب السياسية في العراق ١٩٤٥-١٩٥٨، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد التاريخ العربي والتراث العلمي للدراسات العليا، (بغداد: ٢٠١١).